المشرق

السواحل اللبنانية

للاب هنري لامنس اليسوعي مدرس الجغرافية الشرقية في المكتب الشرقي

ألمعنا في خلال درسنا لرسم الجبال اللبنانيَّة الى السواحل الفينيقيَّة فقلنا انَّ من خواصها وحدةَ سياقها وجريها على خطّ موازٍ لجبل لبنان اللهمَّ الّا رؤوس قليلة كرأس بيروت ورأس الشقمة التي تشذّ نوعاً عن هذه الخطَّة العموميَّة. وهذا فصلٌ نفردهُ لدرس هذه السواحل مباشرةً بالشمال

*

فان اطلقنا رائد الطرف الى هذا القسم الشمالي وهو الواقع بين مصبّ النهر الكبير ورأس الشقمة وجدناهُ بالمقابلة انَّهُ يخالف بقيَّة الساحل في خطّهِ المتساوي. وما ذلك الّا لسبب اختلافٍ يطرأ على وجهة الجبل كما سبقت اليهِ الاشارة في بحثنا عن رسم لبنان فترى الساحل يستدير على صورة هلال من حدّ مصبّ النهر الكبير الى الصخور المتواصلة التي تطفو فوق سطح البحر عند مينا طرابلس وهو الجون المعروف بجون عكّار. ولا غرو انَّ هذا الجون كان اضحى خليجاً كبيراً بعيد الغور بين جبل النصيريَّة ولبنان لولا انَّ مياه النهر الكبير مع نهر عكّار والنهر البارد حالت دون ذلك بما جرفتهُ من التربة التي ملأت تلك البطحاء. فلمَّا لم تجد هذه العوامل القويَّة كفوءاً يتصدَّى لها كبعض المجاري البحريَّة او مدّ البحر وجزرهِ فعلت فعلها وكوَّمت جُرفها في تلك الوهاد التي كانت

جديرة بان تكون خليجاً ذا شأن اثير وفوائد اقتصادية جمّة . اذ انّ البحر كان يستطيع ان يمتدّ الى داخل سورية ويصير لها بثابة قناة بحرية او كخليج قورنتس يُقرّب البلاد الداخلية لا سيّما وادي العاصي المخصب الى المعاملات التجارية . وما أدرانا انّ هذا الخليج لو وُجد لم يؤثر في تجارة بلاد آسية الغربية (١ فيحوّل الى طرابلس كل الحركة التجارية وينتزع عن صيدا وصور سيطرتهما البحرية

وجنوبيّ هذا الجون بين مينا طرابلس وسفح الجبل سهلٌ خصبة تكوّنت بما جرفهُ اليها من التربة نهر قاديشا على طول ممرّ الاجيال جاريًا بذلك مجرى الانهار الثلاثة السابق ذكرها . وبفعله اتصلت بالبرّ الصخور التي بُني فوقها ميناء طرابلس وتحوّلت البقعة الى شبه جزيرة على شكل مربّع غير متساوي الزوايا . والرمال قد سطت على الجانب الغربيّ من هذا المربّع كفعلها في غربيّ بيروت والسبب واحد غير انّ رمال بيروت اوسع منها مجالًا واوفر كميّةً

وان سرتَ جنوبيّ هذه شبه الجزيرة رأيت الساحل يقترب من الجبل مستديرًا على شكل جون آخر يحدُّهُ جنوبًا رأس الناطور . والدائرة الساحليّة كلّها جبال متواصلة لا يفصلها عن البحر سوى قطعة ضيّقة من الرمال التي قذفتها الامواج . ثم يأتي ما وراء رأس الناطور خور صغير يليهِ رأس أنفة وهو دون رأس الناطور كبرًا لكنّهُ اغرب منهُ صورةً . وهو عبارة عن قطعة ارض مستطيلة طولها ٤٠٠ متر في عرض عشرة امتار فقط يفصلها عن البرّ خندق نقرهُ في الصخر الاصمّ على ما يظهر قدماء الفينيقيين . وذلك انّ الفينيقيين كما لا يخفى كانوا من ارباب البحر فوجدوا في هذا الرأس ما يرغبون فيهِ لنقابتهم البحرية اعني مرفأين تلتجئ اليهما جنوبًا وشمالًا سفنهم فتأمن من الانواء مع قربهما من الجون الشمالي ومن الخليج الجنوبي الذي بدؤهُ عند رأس أنفة منتهيًا الى رأس الشقمة

وفي وسط هذا الخليج الجنوبي المستدير على شكل نصف دائرة غير منتظمة سهول تكوّنت من جرف الانهار لا يقلّ عرضها عن كيلومترين الّا انّ المياه المنحدرة من الاودية المجاورة قد استنقعت في قسم منها لما تجدهُ في مصبّها من الرمال المتراكمة

١) راجع كتاب دينر (Diener) ص ٨٨

الحاجزة بينها وبين البحر . على انَّ تَرَقِّي الفلاحة في تلك الانحاء قد زاحم منذ امد قريب تلك المستنقعات فحصرها واملهُ يبيدها ويلاشيها لانَّ الزراعة تجد في تلك التربة المتركبة من المواد الصلصاليَّة والكلسيَّة ما يصلح لنموّها ووفرة مآتيها . وعلى ظننا انَّ ناحية شكَّا سوف تُضحي من اخصب جهات لبنان اذا ما فتحت لها طريق مساوكة تصلها بناحية البترون والقائمقاميَّات الجنوبيَّة ريثما تبلغها السكك الحديديَّة

ويمتدُّ هذا السهل في جنوبهِ ذاك الرأس المستطيل المرتفع على شبه جدار هائل زيد رأس الشقعة الذي يشرف على البحر بعلوّ ٢٠٠ متر ونيف . ومن نظر الى هذا الجبل الشاهق من جهتهِ الشماليَّة اخذه الاندهال من غرابة صورتهِ فيحسبهُ كدارعة عظيمة راسية في المرفإ مجهَّزة في مقدّمها بمهماز ضخم كانها على وشك الخروج لتسخر عباب البحر . وعند جنوبي غربي هذه الدارعة الغربية من جهة نهر الجوز سهل حنوش يفصلها عن البحر معدَّل لا يتجاوز عرضهِ نصف كيلومتر وتربة هذا السهل جيدة لولا انَّ قلَّة الماء لا تسمح بتوفير مزروعاتها كسهل شكَّا . اما من جهة الجنوب فانَّ رأس الشقعة يشرف على وادي نهر الجوز ولا يفصلهُ عن هضاب لبنان الشرقيَّة الَّا اخاديد عميقة خُدَّت في تربة متركبة من الحوَّارى وقطع الصوَّان شأن الجبال التي تتوسَّط بين ناحية الكورة والبحر . وبين تلك الاخاديد مسلك يُعدّ من اصعب مسالك لبنان واشدّها خطرًا لانهُ كثير التراب تغوص الرجل في ارضهِ الوعثة صيفًا وتزلج في طينهِ اللزج شتاء

فترى ممَّا تقدَّم انَّ رأس الشقعة كمكعَّب مرتفع معتدل من كل جهاتهِ قريب من الشكل المربَّع المستطيل طولهُ مسير ساعة وعرضهُ نصف ساعة ومعدَّل علوهِ ٢٥٠ مترًا تُرى في قمَّتهِ قرية حامات البالغة ٣٠٠م . ومساحتهُ في اعلاه مستوية ذات آكام قليلة الارتفاع وهو ينحني انحناء خفيفًا من الشرق الى الغرب مع بعض الاودية غير العميقة من تلك الجهة يُعرف اكبرها بوادي العرب . ومياه الشتاء تجري في فصل الامطار منحدرة من تلك الاودية الى البحر . وليس ثمَّة ينابيع ماء لانَّ التربة قليلة الخصب كثيرة الحجارة اللهمَّ الَّا بعض البطائح قريبًا من دير النوريَّة حيث الثرى قد خصب بما تساقط فيهِ من اوراق الشجر وبقايا النبات

وليس رأس الشقعة متفرّدًا بما خُصَّ بهِ من الهيئة الغريبة فقط بل بهِ تنوط مسألة

اخرى تاريخيَّة يقتضي حلّ مشكلها نريد تعيين الطريق الرومانيَّة التي كانت تمرُّ هناك وتتَّصل بطرابلس . وهي طريق لا شكَّ في وجودها وقد وجدنا منها آثارًا باقية فوق حنُّوش على راس الشقمة . فترى من اي جهة كانت هذه الطريق تنحدر الى سهل شكَّا ومما لا ينكر انَّ منعطف هذا الرأس من جهتيهِ الشماليَّة والجنوبيَّة لا يحتمل طرقًا مسلوكة لوعورتهما . امَّا عقبة المسيلحة فانها كما سبق غير مطروقة شتاء وصعبة المسلك في بقيَّة فصول السنة . فهل يا ترى قد درست آثار الطريق القديمة بطوارئ الحدثان لا سيَّما بفعل الزلزلة التي حدثت على عهد يوستنيانوس . فذلك رأي نرتئيهِ ولا نعلم ما فيهِ من الصحَّة . وانَّما عرضناهُ لنظر العلماء دون بتّ الحكم فيهِ

لمَّا اسم رأس الشقمة عند الاقدمين فهو كما ألمنا اليهِ سابقًا « ثيوپروسوپون » ومعناه باليونانيَّة وجه الله . ودُعي ايضًا « ليثوپروسوپون » اي « وجه الحجر » وفي هذين الاسمين على المرجَّح اشارة الى اسم الاله الفينيقيّ القديم . وفي جنوبيهِ الغربيّ قرية صغيرة تدعى حتَّى الآن وجه الحجر وناهيك بهِ اشارة الى اسمها السابق . والحجارة كما لا يخفى كانت من معبودات الاقدمين . ولنا في صور مثال على ذلك لانَّ معنى الصور الصخرة كما هو معلوم وصور ايضًا من آلهة السوريين (١ وما هو اصرح من ذلك انَّ عرب الجاهليَّة كانوا يعبدون الهًا باسم الحجر . فيكون مدلول ثيوپروسوپون وليثوپروسوپون ووجه الحجر واحد اعني الاله الحجري . وقد كنَّا في ما مرَّ ارتأينا انَّ هذا الرأس هو ما دعاه الاشوريون « بعل الرأس » امَّا ڤنكلر فقد زعم انَّ بعل الرأس هو مضيق نهر الكلب ولا نعلم على اي سند يؤيد زعمهُ . وابعد من ذلك زعم حضرة الاب لاكرنج في كتابهِ عن الديانات الساميَّة انَّ بعل الرأس هو رأس الدامور . وهو يسمَّى اليوم رأس الشقمة . وكان بحَّارة الفرنج يعرفونهُ باسم « رأس وجه » فصحَّفوه ودعوه كاپوج (Capouge) وكاپوني (Capponie) وكاپ بُنج (Cap ponge) وكاپ روج (Cap rouge) كما اشرنا الى ذلك سابقًا (راجع تسريح الابصار ج ٢ ص ١ و ١٠) وزعم رينان انهُ دُعي باسم كاپ مادون (Cap-Madonne). فيكون في هذا الاسم اشارة الى دير سيدة النوريَّة . وكان الملَّاحون يهابون هذا

(١ راجع كتاب ڤنكلر في الكتابات الاشوريَّة ص ٢٥٨ و ٤٧٧

الجبل ويتخوّفون الرياح التي تهبُّ في جواره ولذلك ترى في دير النورية نذوراً للملّاحين نذروا بها عند الانواء وقاموا بوفائها . وقد اختبرنا نحن ايضاً غير مرّة في اسفارنا قوّة الرياح في هذه الجهات بحيث كانت مراكبنا البخاريّة نفسها تشعر بفعلها اذا ما اقتربت منها وتحركت بحركة غير مألوفة

*

ووجهة الساحل من مصبّ نهر الجوز وناحية البترون تعود الى خطّ الجنوب الغربي تابعةً في سيرها وجهة قطب الجبل الاصليّ بكل دقّة كما يتحصّل من مجرّد النظر الى خارطة جبل لبنان . امّا تركيب الساحل فيتراوح بين الصخور والقطع الرمليّة المختلفة السعة

واذا بلغ الساحل ناحية جبيل استدار على صورة خليج واسع قريب القعر مركزه عند نهر ابراهيم ونهاية استدارته عند رأس المعاملتين (١ وهذه استدارة الساحل توازي استدارة قطب الجبل الاصلي وتتميزه عند جبل المنيطرة وذلك بمقتضى قاعدة راهنة اثبتناها سابقاً في رسم جبل لبنان . وكذلك خور جونية فانّ استدارته توازي ما حصل لقطب الجبل من الانواء بين المنيطرة وصنّين شرقاً . وصنين يبرز هناك على صورة مثلّث له على الساحل زاويتان وهما رأس صربا ورأس نهر الكلب . وهو يؤثر في وجهة الساحل الذي يعدل عن الجنوب مائلاً الى الجنوب الغربيّ

ورأس نهر الكلب احرى به ان يُعدّ كدعامة للبنان وهو يحدّد النهر جنوباً ويدخل في البحر . وان اعتبرتهُ في جهته الغربيّة من جهة البحر وفي جهته الشماليّة من صوب النهر وجدتهُ منتصباً كجدار تُطع عمودياً والامواج تلاطم اسفلهُ . وصخوره تلامس البحر وهي كثيرة النخاريب متقطعة منخورة مقعرة وذلك بلا شكّ من عمل البحر فيها في الازمنة الغابرة اذ كانت مياه البحر المتوسط تغمرها لعلوّ سطحهِ فوقها . ولمّا هبطت المياه وصارت الصخور بارزةً عملت فيها العوامل الجوّيّة مواصلة لعمل المياه . ثمّ كان لا بُدَّ من نحت هذه الصخور لتسير فيها طرق الساحل فنُقرت طرق متعدّدة . منها طريق العجلات التي تجري قريباً من البحر وهي تدور حول رأس النهر وفويقها السكّة اللبنانيّة

١) وهناك ما دعاه الشريف الادريسي بطفة السلام والصواب عطفة سلّان

الحديدية تجري على خطّ موازٍ لطريق العجلات . واذا رقيتَ الى نحو ٣٠ متراً فوق سطح البحر وجدت الطريق الرومانيّة منقورةً في الصخر على عهد مرقس اوريليوس تشهد عليها كتابة جميلة تُرى حتّى يومنا عند الجسر الحديث

وهذه الطريق يوصل اليها بدوج منحوت في الصخر وهي تستدير مع عطفات الجبل . وفي ذروة هذه الصخور اقدمُ الطرقات الساحليّة وهي التي سلكها الاشوريّون والمصريّون بجنودهم تدلّ عليها أنصاب عديدة فيها كتابات مسماريّة وهيروغليفيّة . وقد مرّ ذكرها

ثمّ تجد في لبنان وادياً مشمساً بين جبلي صنين والكنيسة يوازيه خليج مار جرجس او خور الخضر . ويُبعد هذا الوادي حدبةٌ مستديرة شرقاً يجاريها اكبر الرؤوس الفينيقيّة وارحبها اعني رأس بيروت . وقياس جهة هذا الرأس الشمالية مباشرةً بالصخور القائم فوقها المسلخ الى الربوة التي تعلوها المنارة لا يقلّ عن ستة كيلومترات . وثلثا هذه المسافة تشغلها البنايات البيروتيّة . فيكون مقام هذا الرأس ممّا يجدي خصوصاً بيروتنا حسناً ويجمل وضعها من ابدع مواقع المدن الساحليّة . وطبقات هذا الرأس السفلى تتركّب من صنف من الطباشير كثير التفتّت يجمع اقساماً ملاط من الظرّان . وامواج البحر قد نفذت الى هذه الصخور وانتكلت اواسطها وتركت سقوفها بلا دعائم تسندها . ولذلك ربّما تداعت هذه الصخور وهبطت وانخسفت بفعل هذه العوامل انخساقاً لا يكاد يصدّق به من لم يعاينهُ . وممّا يشهد على ذلك صخور تُرى في وسط البحر وليست هي الّا بقايا جزائر فصلتها هذه العوامل الشديدة عن الساحل . ولنا شاهد حسيّ على قولنا في جزيرة الحمام جنوبي رأس بيروت . وهناك ايضاً كهفان شهيران تكوّنا على هذا النمط عينهِ . ولا شكّ انّ سقفها يسقط عمّا قليل كما جرى للكهوف المجاورة التي تُرى اليوم على شكل نصف دوائر او على صورة جسور طبيعيّة الى غير ذلك من الهيئات الغريبة التي سبق لنا الكلام فيها

وفي جنوبيّ غربيّ هذا الرأس تمتدُّ رمال بيروت التي يبلغ معظم طولها سبعة كيلومترات في عرض كيلومتر ونصف . وقد بيّنّا في ما مرّ تركيبها واصلها البحريّ وهي تزحف على بيروت من الجهة التي تنتهي عندها الصخور ولعلّها تغمر بناراتها حدائق المدينة لولا انّ غابة الصنوبر تردّ قسماً منها

وجنوبيّ شبه جزيرة بيروت يعود الخطّ الساحلي الى استقامته الّتي لا يخالفها سوى بعض ركام الصخور تنتصب من مسافة الى اخرى اخصّها رأس الدامور عند نهر الدامور ثم رأس جدرة في وسط الطريق بين نهري الدامور والاولي ثمّ رأس الرميلة بقربة من الاولي ولهذه الرؤوس الثلثة ثلثة جُوَن تجاورها وفي اثرها اخيرًا رأس صرفند بين صيداء والليطاني على نحو نصف الطريق بينهما وبعد هذا الرأس لا يخالف الساحلُ الخطَّ المستوي الى نهر القاسميّة

*

قد لحظ قرّاؤنا في ما سبق لنا من وصف الساحل الفينيقيّ أنّنا لم نأتِ بذكر الجزُر وعدم وجودها ممّا يزيد في وحدة اتّساق هذا الساحل. على أنّهُ في مرفا طرابلس من جهتها الجنوبيّة الغربيّة عدّة جُزُر تُدعى اكبرها النخلة وهي تبلغ نحو مئتي متر بتيف وقد فكّرت الحكومة السنيّة غير مرّة بنقل الحجر الصحيّ والبضائع الموبوءة اليها

ومع قلّة الجزائر في سواحلنا قد توفّرت الصخور البحريّة وهي كانت سابقًا متّصلة بالساحل لا سيّما بالرؤوس البحريّة. وكثير منها لا تطفو فوق المياه وفي مصادمتها خطر متواصل للسفن التي تلامس نواحينا وخصوصًا اذا جرت قريبًا من الرؤوس المذكورة

وممّا سبق يلوح جهارًا بانّ السواحل الفينيقيّة لم تعدّها الطبيعة لتجارة البلاد ولكنّي قوم من البحّارين اذ لا تكاد تجد عندها مرفأ صالحًا كما انهُ ليس فيها نهر داخليّ يمكن خوضهُ. هذا فضلًا الى استقامة خطّها الساحلي الذي تكثر فيه الرؤوس والصخور بدون خلجان او اخوار تأوي اليها المراكب ودون جزيرة تستلفت اليها انظار المبحرين

ومع كل ذلك ترى التاريخ يشهد لعظم تجارة الفينيقيين واتّساع نفوذهم ووفرة مقايضاتهم. افليست مناقضة بين هذين الامرين. لا لعمري لانّ لفينيقية موقعًا خُصّت بهِ دون غيرها وذلك لتوسّطها بين جهات الممالك الشاهانيّة ووقوعها في طرف آسية غربًا فتجمع بين الشرق والغرب. وان قيل انّ جبل لبنان حاجز شاهق يحول دونهما اجبنا انّ لهذا الجبل في شماليهِ واديًا عميقًا وهو وادي نهر الكبير يمكن القوافل ان تسير في بطائحهِ فلم يَسُهُ الفينيقيّون عن طرقهِ مع ما طُبعوا عليهِ من التفنّن في ترويج الصنائع التجاريّة. فانّ اهل فينيقية ادركوا ما خصّ الله بهِ من حسن الموقع مواطنهم فكدّوا

وجدُّوا لتحسين شروطها والتعويض عمَّا ينقصها . ولذلك جروا في مسالكها الطبيعية وفتحوا لها مرافئ صناعيَّة كافية لسفن تلك الاعصار وهي زوارق مسطحة قليلة العمق كان يكفيها ما لا يكفي في زماننا للسفن المتوسطة الكبر

ومن فحص المدن الفينيقيَّة وتبحَّر في وضعها السابق استدلَّ على انَّ اصحابها كانوا من مهرة البحَّارين كما تعرف قوَّة اجنحة الطائر بعلوّ طيرانه وسرعة جريه . وما لا ريب فيه انَّ البحر كان موطن الفينيقيّ وكان لا يرى في البرّ الَّا مقاماً موقَّتاً يبني فيه كالطائر عشَّهُ تأوي اليه حيناً فراخهُ ثم يعود فيخوض بحاري البحر بارتياح كما تجد السمكة راحتها في غمر المياه

وهذا ما حمل الفينيقيين على ان يستخيروا لسكناهم الالسنة والرؤوس الداخلة في البحر وان قلَّ ماؤها الشروب او بعدت عن مصبّ الانهار اللهمَّ الَّا بعض مستعمراتهم كبيروت التي توفَّرت المياه في آبارها فاشتقَّت منها اسمها . واستوطنوا بعض جُزُر كصور وصيداء اللتين كانتا سابقاً في جزيرتين . امَّا الغالب على المدن الفينيقيَّة فكونها مبنيَّة على الرؤوس البحريَّة وذلك لسببين يهمَّان البحَّارة عادةً الاوَّل انَّ السُّفن تكون وراء هذه الرؤوس في مأمن من تراكم الرمال الذي يحصل قريباً من مصبّ الانهار والثاني انَّ المياه تكون ثمَّة ابعد غوراً من امكنة سواها . والدليل على حسن اختيارهم لهذه المواقع انَّ مقام المدن الساحليَّة لم يتغيَّر منذ نحو اربعة آلاف سنة ولم تنشئ الشعوب التي خلفت الفينيقيين مدناً غير ما سبقهم اليها الفينيقيُّون وان كانت المدن القديمة قد انحطَّ شأنها انحطاطاً كبيراً

*

هذا وقد بقي علينا البحث عن امر آخر لهُ علاقة مع وصفنا السابق لسواحل لبنان . نريد الكلام عن المرافئ التي تفتح للمدن الساحليَّة مسالك تجاريَّة مع باطن البلاد وتقرّب الوسائل لمواصلة الاطراف القاصية والجمع بين الاهلين

وان اعتبرنا اوَّل مدينة من فينيقية الشماليَّة اعني طرابلس الشام وجدناها خاليةً من المرفإ مع انَّ الطبيعة قد خصَّت طرابلس بما يجعلها من امَّهات المدن . فانَّ موقعها قريباً من وادي نهر الكبير ومركزها المتوسط بالنسبة الى جهات سوريَّة لا سيَّما قربها من وادي العاصي واتِّصالها بالبقاع والحاء دمشق لما يمتدّ بينهما من السهول الجامعة بين

اقاصيها . فان بُني لها مرفأٌ واتصلت بها اسلاك السكك الحديديَّة اضحت احدى حواضر الشام بل جاز ان تكون مرفأ حلب وهي احرى بذلك من بيروت

والحائل الكبير دون ذلك ابتناء المرفإ في طرابلس لا تكون الامر مستحيلًا بل لما يقتضيه من النفقات الباهظة . ومما لا ينكر انَّ الصخور الطافية على وجه البحر من جهة الغرب يسهل استخدامها لصيانة هذا المرفإ من الرياح الغربيَّة التي يكثر هبوبها في سواحلنا . وكذلك يمكن ان يُسند الى هذه الصخور شمالًا حاجز يقوم في وجه الامواج الشماليَّة . لولا انَّ ابتناءه يقتضي كلفات عظيمة لبُعد قعر البحر من جهة الشمال وهو يبلغ ضعف عمق بيروت اعني ثلاثين مترًا ثمَّ انَّ شاطئ البحر على طول كيلومتر بنيف قليل الماء فيستلزم لاصطناع مرفإ اعمالًا ترابيَّة مهمَّة . وقد فكَّرت الحكومة السنيَّة غير مرَّة باصلاح مرفإ طرابلس . فانَّ صاحب الدولة فهمي حسن باشا وزير الخارجيَّة وضع للحكومة السنيَّة تقريرًا بيَّن فيه ضرورة ابتناء مرفإ لطرابلس وقدَّر النفقات لهذا المشروع بنحو ١,٥٠٠,٠٠٠ فرنك . وعادت احدى الشركات الوطنيَّة الى النظر في هذا الامر سنة ١٨٨٩ وبحثت عنهُ وعن السكَّة الحديديَّة بين طرابلس وحمص لما بين المشروعين من العلاقة اللازمة فكانت نتيجة البحث انهُ يلزم لذلك ١٤ مليونًا من الفرنكات ولعلَّ ضعف هذا المبلغ لا يفي بالمرغوب

ولن نظرنا الى البترون وجدنا انَّ وضعها الجغرافيَّ لا يناسب فتح مرفإ فيها لوقوعها قريبًا من رأس الشقمة وفي سفح مشارف لبنان الشاهقة . وزد على ذلك انَّ شطَّها كثير الصخور . وان صحَّ قول المؤرخ مالالا انَّ الزلزلة التي حدثت على عهد يستنيان أجدت البترون مرفأً فذلك قول لا يمكن بيان صحَّته اذ لا نجد اليوم لهُ اثرًا بل تستحيل الدلالة على مكانه

وجُبَيل مرفأٌ صغير طولهُ مئتا متر في عرض مئة متر[1] . وليس من حاجة الى توسيع نطاقه لقلَّة الحركة التجاريَّة فيه ولعدم اتصاله بالاراضي الداخليَّة

اما جونيَّة فقد مرَّ الكلام عنها سابقًا فلا نعود اليه . وكذلك نضرب الصفح عن بيروت ولها المرفأ المعروف الحديث النشأة الكافي لتجارتها الحاليَّة . فلم يبق لنا اتمام هذا الفصل سوى البحث عن مرفإ لصيداء

---

[1] راجع رسمهُ ص ٦٦١

يلوح انّ مدينة صيداء القديمة كانت جزيرة كما كانت صور وصيفتها وكان لها مرفأان احدهما في جنوبيها والآخر في شمالها. وكان الاول يُدعى بالمرفأ المصري وقد تراكت فيه الرمال التي سفتها الرياح الجنوبيّة الغربيّة من جرف النيل فانسدّ بحيث لا

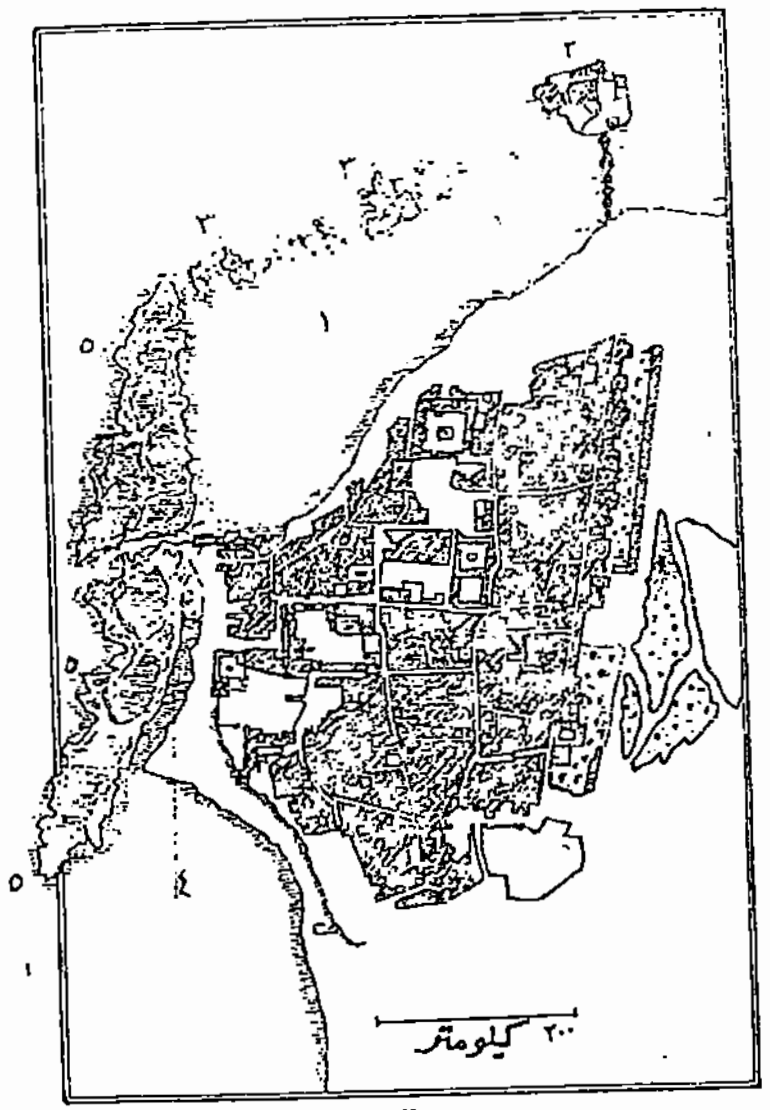

صورة مرفأ صيداء

١ المرفأ الشمالي ٢ قلعة البحر ٣ بقايا الرصيف القديم ٤ المرفأ الجنوبي ٥ جزر صخريّة

يمكن استعمالهُ . امَّا المرفأُ الشمالي فاحسن وضعاً تصونهُ صيانة كافية الصخور التي تمتدّ حولهُ . الَّا انهُ صغير جداً لهُ ٦٠٠ متر وعرضهُ متنان ولا تدخلهُ الَّا المراكب الشراعية . ولمَّا عاد الى صيداء قسم من حياتها التجاريَّة في القرن السادس عشر كانت السفن ترسو شماليّ هذا المرفا في نوع من المينا مفتوح من الطرفين ووراء جزيرة صغيرة من الصخور التي فوقها كان بُني قصر قديم . وكانت السفن في مأمن من الريح الصرصر التي تهبّ من الجنوب الغربيّ الَّا انَّها كانت معرَّضة للرياح الشماليَّة وليست هي دونها خطراً . والرسوّ في هذا المكان صعبٌ جدًّا لانَّ قعر البحر هناك صخريّ لا تنشب فيه المراسي فضلًا عن انَّ القلوس كانت تفنى بالاحتكاك . الَّا انَّ هذا المرفأ كانت تحميه قلعةٌ مبنيَّة على صخر بحريّ بازاء البلدة وهي متصلة بالبرّ بجسر متعدد القناطر (١ . امَّا اليوم فليس هذا المرفأ بكافٍ للسفن البخاريَّة لقلَّة عمقهِ ولذلك ترسو بعيدًا من الشاطئ .

وبقي هذا المرفأ مع خللهِ الى غاية القرن الثامن عشر موردًا تتقاطر اليهِ السفن التجاريَّة . وكانت تجارة دمشق تنصرف اليهِ . ثم بطل بفعل الزمان . وعندنا انَّ هذا المرفأ قد سدَّتهُ العوامل الطبيعيَّة . وان قيل انَّ لصيداء مرفأً داخليًّا يمكن اصلاحهُ اجبنا انَّ الامر ليس بسهل مهما قالهُ المسيو لورته في كتابهِ عن سوريَّة (ص ٩٨) . امَّا المرفأ الشمالي السابق وصفهُ والمصون بقلعة البحر والجسر ذي القناطر فان اراد احد اصلاحهُ لم يمكنهُ ذلك الَّا بحجرة في وسط البحر تبلغ ٦٠٠ متر ليكون ثمَّة عمق المياه ستَّة امتار ثمَّ يقتضي ابتناء سدّ يستند الى القلعة ومع كل ذلك يكون هذا المرفأ عرضة للريح الشماليَّة . وعليهِ فانَّنا نرى مع الانكليزي لوفت كامرون (Lovett Cameron) انَّ هذا المرفأ لا يكون موافقًا للتجارة ما لم تُنفق عليهِ النفقات الطائلة (٢ . اما البلاد الداخليَّة المتَّصلة بصيداء فقليلة الخصب . ولا أمل في جعل هذا المرفا فرضة لدمشق اذ انَّ بين صيداء ودمشق حواجز من الجبال كما بين دمشق وبيروت . وعندنا انَّ هذه النفقات لو صُرفت على طرابلس لكان الربح اوسع والنفع اعمّ والله اعلم .

---

١) راجع كتاب المسيو ماسون (Masson) عن التجارة الفرنسية في البلاد الشرقية ص ٢٨٣

٢) راجع كتابهُ Future route des Indes, p 246

بلاد الذهب

الالسكا واليوكن

لحضرة الاب اوزياس تورين اليسوعي (متسنة)

٣ مناجم الالسكا واليوكن — الحركة التجارية

عُرفت الالسكا قبل اليوكن بزمن وهي اليوم تشبه في حركتها التجاريَّة بقيَّة مقاطعات الولايات المتحدة الَّا انَّ العيشة فيها اشدّ واصعب لبردها وكثرة بردها اذ انَّ انهارها تجمد منذ اواسط تشرين الأوَّل الى اواسط آب والامطار تنهمل في سواحلها ٣٠٠ يوم في كلّ سنة . امَّا الذهب فلم يوجد منهُ الَّا القليل في قسم الالسكا وانَّما وجد في حدودها في « دَوْسن ستي » وعلى ضفَّة نهر كلندويك اعني في القسم الخاصّ ببلاد كنَدة. فاخذ الاميركيُّون يسعون في توسيع حدودهم في الالسكا ليُدخلوا فيها المناجم الذهبيَّة وقد نجحوا في مساعيهم بعض النجاح وكذلك الانكليز المتاخمون للالسكا فانهم جارَوا الاميركيين في مطامعهم وزادوا في تخومهم ٩٥ كيلومترًا من جهة الغرب. وممَّا اجدى بلاد الالسكا بعض النجاح في سنة ١٨٩٩ اكتشاف مناجم ذهبيَّة في « نوم » على شاطئ البحر عند خليج هودسن فتوارد اليهِ العملة لتعدينهِ

وممَّا جاء في التقارير الرسميَّة الاخيرة انَّ الولايات المتحدة التي خصَّصت لبلاد الالسكا منذ سنة ١٨٦٧ رأس مال يبلغ ١٢٥ مليونًا قد ربحت منها ٧٥٠ مليونًا بما وردها من ثمن الفراء وصيد الاسماك وتعدين الذهب. وكذلك لا تزال الحركة التجاريَّة في ترقّ متوالٍ حتَّى انَّ واردات اميركة الى الالسكا تبلغ الآن في السنة نحو ٥٠ مليونًا ومجمل ما دخلها منها نحو ٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠ فرنك منذ السنة ١٨٦٧ امَّا الضرائب والرسوم فانها لا تقلّ في الالسكا سنويًّا عن ٥٨ مليونًا

والصيد في بحار الالسكا من اربح التجارات يقدَّر ثمنهُ في كل عام بنحو ١٢٠,٠٠٠,٠٠٠ وكان الربح الخالص منهُ بعد كل النفقات في سنة ١٩٠٢ قريبًا من ٤٣,٠٠٠,٠٠٠

وقد وجد الباحثون مؤخرًا مناجم معدنيَّة غير الذهب باشروا في تعدينها . اما

الزراعة فلم تأت حتى اليوم بثمار تذكر الا انَّ الحكومة الاميركيَّة لتنشيط الزراعة اخذت تمنح مجانًا اراضي واسعة للفلَّاحين الذين يَعِدون بفلاحتها وزرعها

هذا ما يختصّ بالالسكا امَّا اليوكن فانَّ مناجمهُ الذهبيَّة غنيَّة جدًّا . وما استخرجهُ المعدّنون من هذا المعدن الثمين في سنة ١٩٠٢ بلغ ٧٢ مليونًا ونصف من الفرنكات . ولولا الجدب الذي حصل في آب من السنة ١٩٠٣ لكانت كميَّة الذهب المستخلص اكثر من ذلك اذ لا بُدَّ لغسل الذهب من مياه غزيرة . ومما يؤسف لهُ انَّ المعدنين يقطعون كثيرًا من الغابات فتقلّ الامطار بذلك وتنقص الارباح . والشركات المالية تسعى الآن في سدّ هذا الخلل بان تجلب المياه بقنيّ من امكنة بعيدة فاذا توفّرت المياه توفّرت ايضًا اعمال المعدّنين وتضاعفت الارباح . مثال ذلك انَّ مجمل ما عدَّنهُ المعدّنون من الذهب في يومين فقط من شهر ايار من السنة ١٩٠٣ بلغ ٦,٢٦٢,٥٠٠ فرنك وذلك لانَّ ذوبان الجليد اتى بمياه غزيرة سمحت لهم بغسل كميَّات وافرة من الرمل الذهبيّ

والايالات التي وُجدت فيها المناجم الذهبيَّة في بلاد اليوكن تسعة : ثلاث منها قديمة وهي « فورتي ميل » و « سكستي ميل » و « دوسن ستي » على انَّ الذهب فيها لم يَعد يُجمع حفنًا كما كان سابقًا بل حفرًا وبواسطة الآلات القويَّة . وخمس منها حديثة النشأة لم يباشرها المعدّنون الَّا من زمن قليل وهي « ستيوَرْت » و « كليار » و « دُنكان » و « هوتالنكا » و « وَيت هُرس » . امَّا الايالة التاسعة فاسمها « يلي » ولم يزل اكثرها مجهولًا وركازها مدفونًا

ولعلَّ سائلًا يسأل وما قيمة الذهب هناك وهل يساوي الذهب المتعامَل به . نجيب انهُ يختلف باختلاف صفائهِ وجودتهِ وثمنهُ يتراوح بين ٧٦ و ٨٨ فرنكًا في كل مثقال وزنهُ ٣١ غرامًا

امَّا تعدين هذه المناجم فلهُ شروط لا بُدَّ من مراعاتها . فانَّ المعدّن اذا احتلّ بلاد الذهب جاز لهُ ان يختار لنفسهِ ارضًا مناسبة للتعدين لا يتجاوز طولها ٧٧ مترًا و ٧٥ س وان كانت الارض على ضفَّة جدولٍ من المياه او نهر كان عرضها ٣١١ مترًا او ٦٢٢ م فيدوّن ذلك في سجلَّات الحكومة ويدفع لنوال الاجازة ٣٨ فرنكًا و ٢٥ سنتيمًا في

السنة . فان وجد في ارضه ذهباً منحت له الحكومة اربعة اضعاف ارضه طولاً لمدتها . وتختلف هذه الشروط باختلاف الاراضي واسباب التعدين والشركات المعدّنة

وكذلك شروط معاملة للمعادن غير الذهب كالنحاس والكوارتس والحديد والفحم المعدني والبترول فانّ الحكومة تنشيطاً للمعدّنين وللشركات التجارية تقرّب لهم الوسائل وتعافيهم من الضرائب مدّةً الى ان تتوفّر لديهم المحصولات

ومقاطعة اليوكن مع حداثة استثمار مرافقها قد اخذت تجدي بلاد كندة نفعاً جزيلاً وتوفي النفقات التي صُرفت في تحسين احوالها . فانّ الدولة لم تنفق حتّى الآن لهذا الشأن اكثر من ٤٢ مليوناً ونصف من الفرنكات والمدخول ٤٢ مليوناً فقط . فيكون الباقي من دين اليوكن نصف مليون وهو شيء لا يُعبأ به

وحاضرة هذه المقاطعة هي دَوسن وسكّانها زهاء ١٠٠٠٠ نفس وقد بُنيت مؤخّرًا حولها عدّة قرى يسكنها المعدّنون كغرنفيل وكاريبو . ولدَوسن هذه اسلاك تلغرافيّة توصلها بالخطوط الكبرى التي تبعد عنها نحو ٣٠٠٠ كيلومتر . واعمال التلغراف والبريد في تقدّم دائم حتّى انّها تفرق بين سنة وسنة فرقاً عظيماً . وكذلك سكّة اليوكن الحديديّة نالت في السنة الاخيرة ارباحاً طائلة

وان كانت صادرات مقاطعة اليوكن في ترقّ وتصاعد فانّ الواردات اليها تزيد ايضاً . وكان سابقاً اكثرما يدخل بلاد اليوكن من المرافق التجاريّة يأتيها من الولايات المتحدة وهي اليوم قد تحوّلت فصارت تأتيها من بلاد الكاندا

واهل اليوكن في حاجة خصوصاً للمآكل واسباب المعاش المختلفة لقلّتها في تلك البلاد وكانت اوّلاً تباع بأثمان فاحشة فنُقلت اليها اصناف اللحوم والبقول والاثمال حتّى تهاودت اليوم شيئاً اسعارها . وممّا يلقى ايضاً رواجاً الادوات الميكانيكيّة سواء كانت للحفر او للنقل او لسرعة الشغل او لتذويب الجليد في الشتاء وغير ذلك ممّا يقرّب العمل للمعدّنين

وغاية المتوطّنين اليوم في الالسكا ان يستغنوا بانفسهم عن المنقولات الغريبة واخذوا يسعون في زراعة البقول والاشجار المثمرة رغماً عن البرد القارس الذي يسطو على تلك البلاد . فأتت مساعيهم بما فاق كلّ الآمال . ولمّا أُنشئ السنة المنصرمة في دوسن اوّل معرض زراعي لمحصولات اليوكن وكلونديك اخذ العجب جميع الزوّار اذ

وجدوا امثلة فاخرة لكل اصناف المزروعات التي نمت في تلك المواطن كالقمح والشعير والبطاطا والكرنب والقرع والراوند والفجل وبعض الفواكه . وكذلك كان هناك قسم مخصوص بالزهور فجمعوا منها اصنافاً متعدّدة راقت عيون الناظرين . وكانت نتيجة

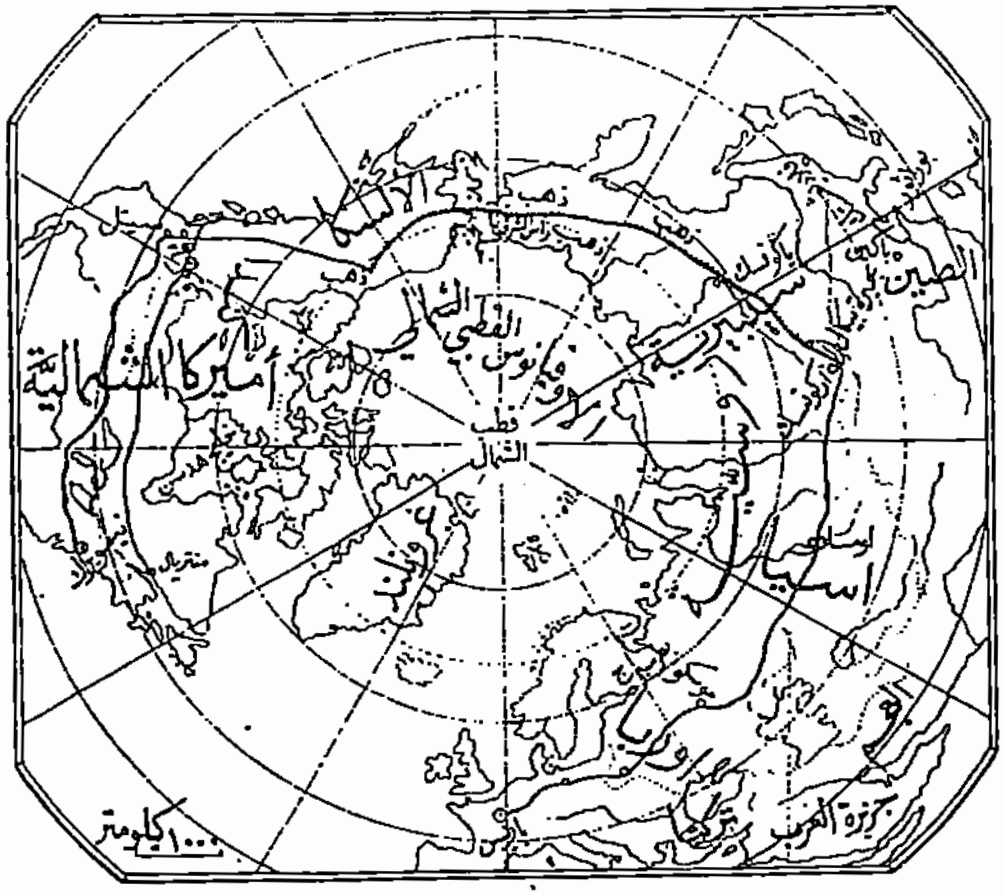

السكة الحديدية المئوية بين باريس ونيويورك (راجع الصفحة ٩٥٤)

هذا المعرض انّ بلاد اليوكن وكلونديك اذا ما واصل اصحابها مساعيهم في تحسين الزراعة ستقوم بمعاش اهلها وتأتيهم بما هم اليه في عوز من البذور والمأكولات اللازمة

امّا الدعاوي في هذه البلاد المستحدثة فيحكم فيها ثلاثة من القضاة فاذا

أبى اصحابها بالحكم رفعوهُ الى ديوان القضاة في اوتاوا حاضرة الكاندا ويجوز ايضاً اذا لم يرض المتخاصمون ان يُستأنف الحكم في شورى انكلترَّة وهو ينقض بقيَّة الاحكام وليس من حكم فوقهُ

وقبل الختام لا بُدَّ لنا ان نذكر للقرَّاء مشروعاً جليلاً فكَّر فيهِ احد المهندسين الفرنسويين فدعا اليهِ عالم السياسة والتجارة لترويجهِ . والمذكور هو المسيو لواك دي لوبل (Loicq de Lobel) الذي عرض فكره في مقالات ضافية بيَّن فيها انهُ لا بُدَّ من انشاء سكَّة حديديَّة تنفذ في بلاد الاسكا فتبلغ الى خليج بيرنج فيُقطع هذا الخليج موقتاً بسفنٍ معيَّنة الى ان يُحفر للسكَّة تحت الخليج سربٌ لقطع هذه المسافة ثمَّ يصل المسافر الى سكَّة سيبرية الاسيويَّة . اما من جهة اميركا فيكون اتصال هذه السكَّة باحدى السكَّتين اي السكَّة القاطعة للولايات المتحدة او بسكَّة كندة . وعليهِ فيمكن ان تُقطع المسافة بين باريس ونيويورك او منتريال وهليفاكس بقطارات السكَّة الحديديَّة دون ان ينزل المسافر من قطارهِ . والباقي لهذا الخطّ العظيم قطعتان قطعة في آسية من اركوسك وياكوسك الى الرأس المعروف بالشرقي (Cap Oriental) وقطعة في اميركة مارَّةً ببلاد اليوكن ولا يصعب انشاؤها لاسيَّما اذا وُجدت مناجم ذهبيَّة جديدة والدليل على نجاحها انَّ الخطّ الصغير بين سكاواي ودَوسن الذي كان يعدّهُ البعض مستحيلاً في سنة ١٨٩٧ قد اوفى بمحاصيلهِ اكلُف التي صُرفت عليهِ بل اخذ اصحاب الاسهم يقتسمون ارباحهُ عشرة في المئة مع انهُ لم يتم بكمالهِ

فترى انَّ مستقبلاً باهراً ينتظر بلاد الذهب وانَّ الذين احتلُّوا الى تلك البلاد يؤمل نجاحهم اذا ما احسنوا السلوك وعاشوا عيشة منتظمة وعرفوا قوانين الاقتصاد الَّا انهُ لا بُدَّ لهم من توطين النفس على المشقَّات ومقاساة الاتعاب واحتمال القرّ الشديد . فنطلب الى الله ان يحقق آمالهم ويجعلهم في تلك الانحاء القاصية كقدوة حسنة للمتوطنين في تلك البلاد ويرجعهم الى اوطانهم سالمين نفساً وجسماً

البابا اقليمنتوس الثامن
وبطريرك الاقباط جبرائيل

نبذة من تاريخ ارتداد الاقباط الى حضن الكنيسة الجامعة
في اواخر القرن السادس عشر

نشرها حضرة الاب انطون وبّاط اليسوعي (تابع)

بسم الله الابدي الدائم السرمدي

يقبل الارض خاضعاً وساجداً بوجهه الخاطي تحت الاقدام الطاهرة السيدية الابوية الاب المكرم المختار اب الاباء الابرار ورئيس الرؤساء الاطهار الجالس على الكرسي البطرسي الاب النوراني والملاك الجسداني راعي الرعاة الراعي الصالح المدبر الحكيم الذي بيده قضيب الرئاسة راس البطاركة خلف السيد المسيح ابينا وراسنا الاب الاكلمندس الثامن البابا بمدينة رومية المحمية ادام الله تعالى رئاسته سالمة من الاكدار ويرحم ضعف التلميذ المستجابة صلواته

ان الذي يعرضه التلميذ الحقير على قدس السيد الاب ادام الله تعالى بعمره ان لمّا حضر الى عندي الاخ الحبيب جريرمو ابوكيتي قاصد الاب من رومية قد كتبت لك ولما توجه الخبر وحضر كتبت لك ايضاً مرة ثانية وانا بنفسي وهمتي وقلبي دائماً تحت اوامرك وطاعتك . وان الورق الذي كتبناه سابقاً برسم الامانة المقدسة الارثذكسية انك اطلعت عليها ورأيتها وانك رايت همتي سابقاً في الاوراق السابقة وان من ذلك الزمان والى تاريخه قد تعبنا تعباً كثيراً مع اهل مصر لان بعض من الناس بمصر لم يفهموا شيئاً واكثرهم الناس الذين على غير الطريق . ثم بعد ذلك شكرنا الله تعالى الذي ساعدتنا قدرته على اتحاد هذه الامانة المقدسة وقد كملت بمعونة الله تعالى وان هذا الوقت الفرح الذي صار عندي عظيم قوي بما يعلم الله تعالى . وان ابانا البطريرك ابا غبريال بطريرك الاسكندرية قد اعتقدها وثبتها وانه امضى هذا الاتحاد المقدس وواصل لكم مكاتيبه ظاهرة قوية ثابتة باوراق الاب المذكور صحبة قصّاده وهم القمص غبريال راهب دير المحرق والقس غبريال راهب دير جبل الطير والولد العزيز المبارك برصوم

ارشيدياكون الكنيسة البطريركية الذي بالاسكندرية وهو انا الذي ارسلتهُ بخاطري ليعرف ان قدسك يعزه بمحبة روحانية وانك ارسلت لنا في اوراقك اننا نرسله وان الولد برصوم هو عوضي في سائر الامور فان الكل صحبة قاصدك مسير (كذا) جريسو ابو كيتي ليقدموا المكاتيب باسم ابينا البطريرك وباسم سائر شعبه وقد يفعلوا جميع الامور الذي يحتاجوها لاجل تثبيت هذا الاتحاد المقدس الذي اتحدت الكنيسة الاسكندرانية مع الكنيسة الرومانية . ونطلب من الله ومن السيد المسيح ان يثبت هذا الاتحاد دائم الى اخر الازمان وكما هو صار في الارض يكون في السموات ويكونوا جميعاً مجتمعين في اورشليم السمائية بمحبة الاباء والقديسين . وان هذا الاتحاد اكرزت به في الكنيسة الاسكندرانية وقريته . واني اسأل من قدس ابينا انك تتوصا هذه القصاد المباركين وانهم يكونوا دائماً بالصلح والمحبة والسلامة من غير شك فهم ما هم مهم ورقة تذكره غير ورقة الوكالة ليقضي مصالح . نعرض على قدسك ونسأل من قداستك انك تفتح ودنك وتصغا لما قلناه في هذه المكاتيب المعروضة على قدسك بالوصية على جميع مصالحنا مثل اب الرحمة وساعدنا في جميع ما نحتاجوه لكنائسنا وللفقراء . ساعدنا وكما اعطيتنا الروحانيات اعطنا ايضاً الجسدانيات ليصيروا مربوطين بقوة ومحبة روحانية في هذا الاتحاد المقدس . وانا وصلنا من مسير جريمو ابو كيتي قاصدك المدة الذي لكنيسة اسكندرية والصدقة الذي ارسلتوها غير الاول وغير المصروف الذي احتاج لمضر . وشكرنا الله تعالى وقدسك على ذلك . وانه يا ايها الاب القديس ان قد صار اليوم الفرح بتاعي عظيم لاجل اني انا وولدي عبدك تخايل تعبنا في هذا الاتحاد المقدس وقد تم غاية الفرح الذي (اذ) بيتُ الكريم دغل المعاكسة ونسأل من قدسك تذكرنا في صلواتك المقدسة فاني رجل شيخ كبير ونسأل من الله قبل ما تقفل عيني تحل علينا بركتك في ارواحنا واجسادنا وبناتنا واولادنا ونطلب من الله ان يزيد في عمرك زمان طويل حتى تفعل كل شي مليح للكنيسة الكاثوليكية

كتب في تاريخ اواخر شهر امشير المبارك سنة الف وثلثماية وثلاثة عشر للشهدا الاطهار ورزقنا الله بركاتهم وشفاعتهم امين امين امين والمجد لله دائماً ابداً

التلميذ الخاطي العاجز قص يوحنا بكرسي ماري مرقص باسكندرية المحمية (١

١) قد ترك الكاتب اكثر الاحرف مهملة بغير نقط في هذه الرسالة

رسالة يوحنا بن رفائيل القطي الى البابا اقليمنتوس الثامن

انا الحقير يوحنا بن رفاييل المعروف بالبيلاوي اضرب المطانية تحت اقدامك ايها الاب الروحاني الملاك الجسداني اب الاباء ورئيس الروسا وكبير الكهنة راعي الرعاة الشريك في الخدمة الرسولية والاعمال المسيحية المبشر بالامانة القاتوليقية فخر بيعة الله المقدسة بالكنيسة الرومانية ثالث عشر الحواريون الابرار وخامس الانجيليين الاطهار ابي وسيدي ورئيس كهنة الله العلي مار اكلمنطس الثامن ادام الله ايام رياسته سنين كثيرة ويغفر الرب خطايا التلميذ بقبول صلواته امين ثم اسأل من قدسك ايها الاب ان تقبلني انا الخاطي كما قبل الوالد ولده الذي ضرب به المثل في الانجيل قايلًا ان انسان كان له ابنان وما يتلوه فانا الحقير اطلب قدسك ان تصلي علي دايمًا فان بصلواتك وبركاتك كان تمام هذه المصلحة على يدنا الذي هو الاتحاد المقدس الكنيسة الاسكندرية مع الكنيسة الرومانية وبقوة الله تعالى ساعدتنا القدرة الالهية وقاعنا البغض والشك من جماعتنا وصارت المحبة بيننا واخاء ونطالب من الله تعالى ان يديم هذه الاتحاد ولا ينقطع. وقد نعلم قدس الاب ان كان قد حصل لنا مضايقة عظيمة وسُجنًا وبصلواتك سعى فينا الاخ العزيز سيدي سيمون القنصل (١ وخلصنا من تلك الشدة وبواسطة القنصل المذكور والاخ جرينمو قاصدكم والحقير تمت هذه المصلحة المباركة وكتبت ساير الاوراق الواصلة اليكم. ونسال من فضل الاب بان يتأمل بنظره المبارك القنصل سمون فانه نافعًا لنا في جميع مصالحنا وانا الحقير واقف على قدم الطاعة في جميع اوامرك ومراسمك وما تامر به وقد نسال الله تعالى ان يديم بقاكم ويخدل تحت اقدامكم ساير اعدايكم بطلبات السيد العظيم ماري بطرس راس الرسل وكافة الرسل وللشهدا والقديسين امين

تلميذك يوحنا رفاييل البيلاوي عفي عنه

رسالة القسّس غبريال للبابا المذكور

بسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد (٢

نحن القمص غبريال راهب دير المحرق والقسيس غبريال راهب دير جبل الطير

---

١) اطلب المشرق ص ١٠١ ٢) هذه الرسالة باللغة العامية بخط سيّ واملاء سيّ تتلفاها بالحرف الواحد وقد كتبها الارشيدياكون بَرْصوم كما يتضح من مقابلة التوقيع في الاصل

وكذلك برصوم ارشيدياكن الكنيسة البطريركية بباري مرقس السكندرية المصرية قوصاد (قصاد) ووكله الاب المكرم انبا غبريال بطريرك السكندرية تحضر امام اقدام قدسك ايها الاب الطوباني وسيدنا البابا ماري اقليمنطس الثامن النايب المعظم المسيح وراس العامي على الارض الكنيسة الكاثوليقية المقدسة وجينا الى عند قدسك هاهونا في رومية ونحن مرسولين من عند الاب المكرم البطريرك المذكور باسمه وباسم طايفته لكي تقبل اقدام قدسك ونشهد لك على هذا التحاد المقدس المقبل من بين الكنيسة السكندرانية مع هذا الكنيسة المقدسة الكاثوليكية الرسولية في الرواط المقدس السماع والطاعة بجميل القصد الوافق عندنا مع رايه وفيه مزمع ان نحيا دايما والى الابد لاجل ان هناك طرد كلما رسمتنا وقبل جميع ما اعرضته ونحن كلنا بغير خاف متحدين معك في علم واحد مقدس بامانت المسيح بغير فساد ولاجل هذا قد قدمنا لك فصل الشبيت الذي صار في مصر هذا التحاد المقدس الذي الاب المكرم بطركنا المذكور ارسله لك مع الرواقهو وورقة الوكالة عنا نحن حتى يكون ووكله عنه بجميع ما يحتاج هذا التحاد المقدس الذي رتبهُ قد تتضمنهُ الان حضرنا لك بصحبت جريرمو ابوكيتي قاصدك بقوتهم نحن نشهد لك على كل هذا المواد قدام الله وملايكته وكل القديسين الذي في السماء وهكذا نثبت ونحلف على الناجيل المقدسة امين

انا القمص غبريال قاصد المذكور — انا القس غبريال قاصد المذكور — انا ارشيدياكن برصوم قاصد المذكور

رحلة خليل صبّاغ الى طور سينا

نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي

توطئة

قد وجدنا في اثناء سفرنا ،وذخرًا الى باريس هذه الرحلة كتبها صاحبها سنة ١٧٥٣ مسيحية وارسلها الى احد اخوته فانتقلت بالشراء الشرعيّ الى مكتبة الدولة السمويسة وهي اليوم موسومة بالعدد ٣١٣ (Bibl.Nat., *Fonds arabe*, n° 313) فنقتاها عنها لنفكّه جا أبناء قرّاء المشرق. والحقّ يقال انّها تتضمّن من الفوائد والاوصاف ما تقرّ به عيون الادباء ويستطيبهُ خاطر عجبي

الآثار الشرقية القديمة . امّا المؤلف فهو من الروم الملكيين واحد افراد اسرة شريفة لا تزال تُعرف بالفضل بيتنا وقد وجدنا عنها تفاصيل مهمّة قديمة سننشرها ان شاء الله قريباً . وهذه الرحلة مكتوبة باللغة العاميّة تركناها على ضعف تأليفها مع اصلاح اغلاطها النحويّة ليس الّا . وهذه الرحلة عبارة عن اثنتي عشرة صحيفة وقد تلف من اوّل صحائفها قطعة صغيرة ذهبت ببعض الاسطر فدللنا على ذلك بمكّفين [ ] جعلنا بينهما ما يقتضيه المعنى

(١) بسم الآب [والابن والروح القدس امين]

١ بلوغنا الى دير سينا

يقول العبد الفقير الكثير [الذنوب المقدسي خليل صبّاغ الشامي في بدء] الكلام انني اشرح لك الرو [حة التي باشرتها الى جبل الطور] وهو جبل الله جبل سينا ودير الست [كاترينا بصحبة رئيس الدير المطران قسطيوس الجليل] الاعتبار . وهو اني بصباح نهار [... من الشهر ...] من سنة ١٧٥٣ توجّهتُ من مصر في رفقة رئيس الاساقفة المار [ذكرهُ اي كير] قسطيوس رئيس الدير المذكور طور سينا مع ستّة وخمسين زائراً مسيحيين مختلفي البلدان واللغات لزيارة الدير المذكور . فسرنا على الجمال والهجن وقطعنا مسافة الطريق باحد عشر يوماً وفي نهار الخميس الاحد عشر للشهر المذكور حصلنا بقرب الدير كنحو ساعة . وهناك حجرٌ عظيم يقال لهُ حجر موسى يتبارك منهُ كافة الزوّار . فنزل الرئيس عن ظهر هودجهِ والزوّار من عن جمالهم وهجنهم والعربان من عن خيلهم وقبّلوا الحجر المذكور . واذا بالآباء (الآباء) من الدير نزلوا بجلال الكهنوت للقاء الرئيس وردوا ومعهم اربعة شمامسة نازلون وللاناجيل المصفّحة بالفضّة والذهب والصلبان حاملون ورايات عالية بايديهم رافعون في اعلى احداها صورة القديسة كاترينا وجميعهم بازاء الرئيس ساجدون وليديهِ مقبلون

وبعد ذلك ساروا جميعهم امامهُ والزوّار تتبعهُ والعربان ايضاً حتّى اقبلوا الى باب الدير فانفتح (٢) وسرنا [في حوش بين جموع يتهللون باصوات الفرح ومضهم بالبا]رود والرصاص يقوّصون [وكان قسمٌ من الرهبان يترنّمون بالاناشيد ويدقّون النواقيس] ... حتى بلغنا الى باب من حديد ومنهُ الى باب ثانٍ من الحديد ايضاً ثمّ الى باب ثالث مثلهِ . ثمّ وصلنا الى فسحة لطيفة ومنها الى باب خشب . ثمّ الى باب ثانٍ وثالث مثلهِ . وجملة الابواب سبعة منها حديد اربعة وخشب ثلثة . وفي نهاية ذلك نزلنا في سلّم

عريض ذي اثنتي عشرة درجة والرئيس قدّامنا ونحن باجمعنا خلفهُ . واذا بباب في آخر السلالم المذكورة كبير شاهق عظيم البناء وهو باب النرثكس (narthex) فدخلنا منهُ واذا هناك ثلاثة ابواب ايضاً من جهة المشرق وهي ابواب الكنيسة الكبرى اكبرها في الوسط والصغيران في الجانبين فالباب الاكبر (يؤدي) الى الانبوبة (nef) الكبيرة والبابان الصغيران الى الانبوبتين الصغيرتين

فدخلنا من الباب الكبير الاوسط المذكور مع الرئيس وبقيّة الزوّار واذا بالكهنة احضروا للرئيس القيّة (١ التي يلبسها رئيس الكهنة وكانت جليلة القيمة فالبسوه اياها واعطوه عكّازاً بيمينهِ جزيلة القيمة فاخرة وساروا امامنا حتى وصلوا الى باب حجاب الهيكل فسجد كعادتهِ (٣) امام الايقونات ثمَّ بارك وصعد الى كرسيّهِ وهو عالٍ شاهق من خشب الجوز المتقن بغاية الصناعة فصلّى يسيراً على شأنهِ وشأن الزوّار . ثمَّ التفت الى الابهات (الاباء) وبارك عليهم ومدح تعبهم وعناءهم واكرامهم لهُ ثمَّ مدح حسن نشاط الزوّار بمكابدتهم اتعاب الطريق الزائدة وتجلّدهم على مثل هذه المشقّات الوافرة ودعا لهم وبارك عليهم وطوّب الذين عمّروا الدير المقدّس وبارك على المسيحيين اجمعين القائم الدير بحسناتهم وصدقاتهم . وترل حينئذٍ من كرسيّهِ وسار الى محلّهِ المعروف بالسينوديكاه (συνοδικόν) والزوّار ساروا الى المحلّات المعدّة لهم . ولم ترل النواقيس المذكورة اعلاه تُضرب من حين خرج الآباء من الدير للقاء الرئيس حتّى الى تلك الساعة نحو ثلاث ساعات من الزمان

٣ في الكنيسة الكبرى

لهذه الكنيسة كما كتبتُ لك ثلاث انبوبات الكبيرة في الوسط والصغيرتان على الجانبين وستار (سقف) الانبوبة الكبيرة جاون عظيم من الخشب تحملهُ قناطر مركّبة على اربعة عشر عموداً من الرخام الابيض المرمر في كل جهة سبعة اعمدة منها ماوَرْدِيّان قائمان من داخل حجاب الهيكل واثنا عشر عموداً من الخارج ستّة في كلّ جهة . وارتفاع كل عمود منها سبعة عشر قدماً ونصف فيبلغ نحو سبع اذرع اصطنبولي . ودائرة كل منها عشرة اشبار تبلغ ثلاث اذرع وثُلثاً وبين كل عمود الى رفيقهِ تسعة اقدام تبلغ اربع اذرع ونصفاً

١) راجع المشرق الحاشية الرابعة من السنة الرابعة (ص ١١٢٧)

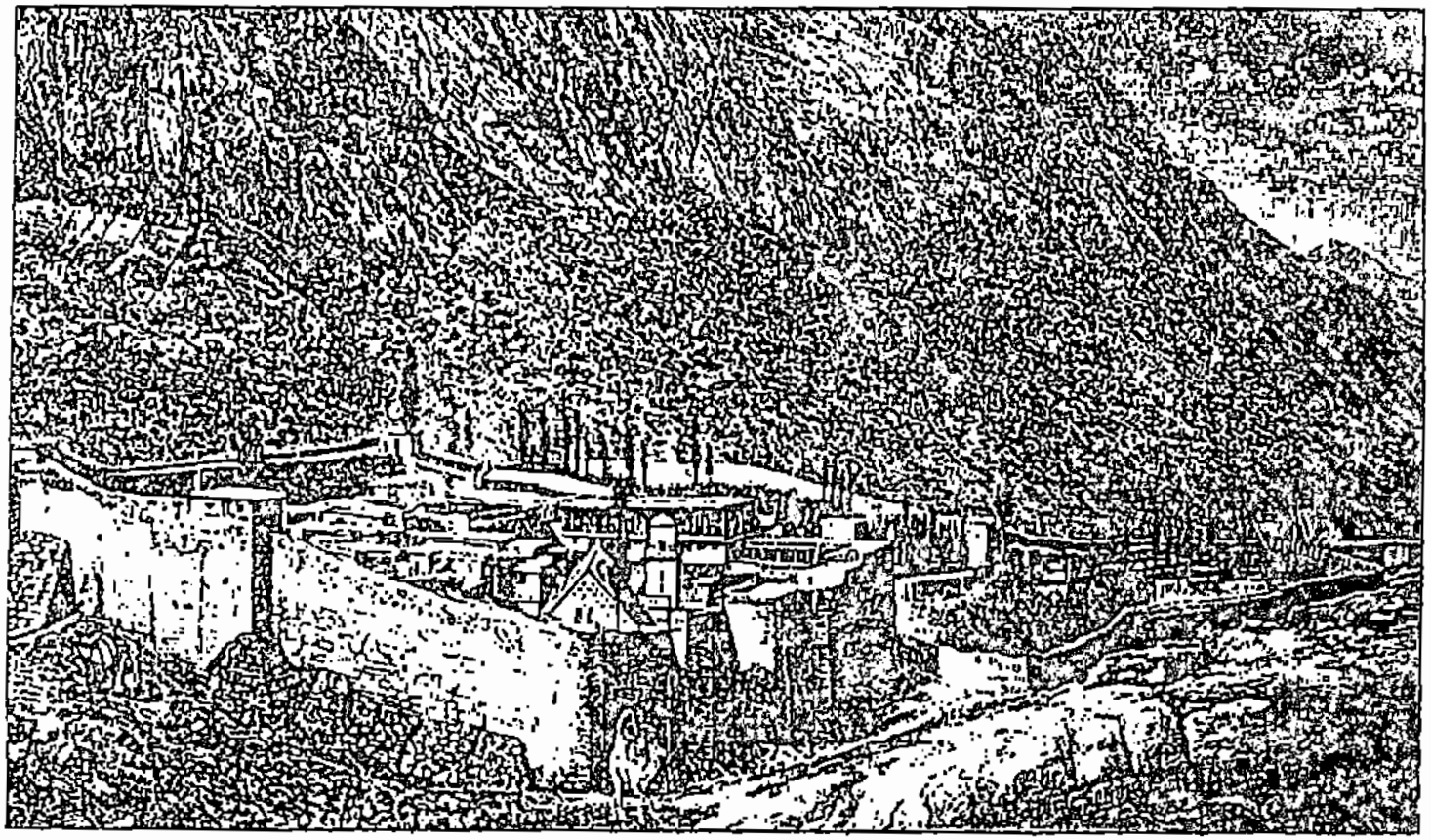

صورة دير طور سينا (نقلًا عن كتاب الاب ميشال جوليان في سورية وسينا)

وهذه الانبوبة الكبيرة المذكورة مفروشة بالرخام الابيض والاسود (٢٥) والاحمر والازرق السماقي وغيره بغاية الاتقان والتحرير وطول هذه الانبوبة من الباب الكبير الى حجاب الهيكل ٧٥ قدماً اي ٣٧ ذراعاً ونصف . وعرض الباب الكبير الذي لهذه الانبوبة عشرة اقدام بمعنى خمس اذرع . وفيها من كراسي خشب الجوز اربعة عشر كرسياً من كل جهة فيكون من الجهتين ٢٨ كرسياً . وفيما بين الاربعة عشر كرسياً التي هي من الجهة اليسرى كرسي الاسقف المذكور اولاً وهو من خشب الجوز ايضاً ومتقن بغاية الصناعة والتحرير فيه اشكال الوحوش وغيرها وهو عالٍ مرتفع وقدّامهُ ايضاً كرسي نظيره شاهق من الباغا (١ والصدف وهو مُعدّ لرئيس الكهنة او غيره اذا وُجد هناك زائرًا

وفي الجانبين قرّاءتان لوضع الكتب ومن جهة اليسرى كرسي ايضاً من الباغا والصدف يعلو فوقهُ (خزانة) لطيفة لوضع الايقونة التي يقع تذكارها . ومثلهُ في الجهة اليسرى كرسي آخر لوضع الخبز المقدّس في عشيّة الاعياد والقرّاءتان والكرسيان من الصدف والباغا وكلها عجيبة الصنعة . وكذلك وُضع كرسيان مرتفعان من خشب الجوز بجانب باب الكنيسة المذكورة من داخلها يميناً وشمالاً وَجهها ينظر الى المشرق وذلك انهم اذا صلّوا على الخبز المقدّس اي القربنيه (٢ يتزل الرئيس من كرسيه وحولهُ جملة من القسوس ببدلاتهم فيحضر ويقف في احدهما وتصير الصلاة المذكورة

واما الهيكل الكبير الذي هو في صدر هذه (٣ الانبوبة الوسطى فهو على اسم التجلّي الالهي وحجاب الباب الملوكي في الوسط وعلى يمينهِ ايقونة القديسة كاترينا يليها الباب الثاني . وفي الجهة اليسرى ايقونة السيّدة والدة الاله وايقونة يوحنّا السابق يليها الباب الثالث . وهذه الايقونات بديعة الاتقان عجيبة التصوير تُسرج امامها القناديل قدام كل ايقونة منها سبعة قناديل مربوطة جملةً وكلها من الفضّة قد طُليت بالذهب وهي من صناعة بلاد المسكوب وسلاسلها من صناعة الشفت (٣ والتخريم

وقد عُلّقت ايضاً امام هذا الباب الملوكي خمسة قناديل كبار من الفضّة . وقد

---

١) الباغا عظم الحيوان يتّخذ للتطعيم . وهو مشتق من اللفظة التركية بنا ومعناها السلحفاة

٢) القربنيّة والقربينة والاقربينة يراد بها الخبز المبارك الذي يتّخذ منهُ خبز القربان

٣) ويقال الجفت ايضاً ويراد بذلك نقش الخشب وحفره

عُلّقت بحجار الانبوبة المذكورة من جهة اليمين الى باب الكنيسة سبعة قناديل كبيرة من الفضّة ومثلها من جهة اليسار وفي وسط الانبوبة الكبيرة من الباب الملوكي الى باب الكنيسة ثمان ثريّات ثلاث منها من النحاس الاصفر من شغل البندقيّة العجيب وفي كل واحدة اربع وعشرون شمعة . وثريّا زابعة من البلّور وهي بديعة الصناعة من شغل النمسة . ثمّ ثريّا خامسة (٣) فيها قنديل من الفضّة كبير جدًا وفي دائرته سبعة قناديل صغار وقد عُلّق فيه قناديل فضّة طويلة وذلك من شغل بلاد الفلاخ بصناعة الشفت والتخريم وكل تسعة قناديل معلّقة على سواء . واماً المنارز التي هي امام هذا الحجاب وامام الباب الملوكي فشغلها عظيم وهي من النحاس الاصفر المتقن بصناعة عجيبة . ومنها اثنان عظيمان جدًا ومرتفعان على قواعد من صورة السباع من النحاس المذكور وفي اثرها اربعة شماعدين مثلها ولكن اصغر منها من كل جهة شمعدانان وكلها من النحاس الاصفر على شبه السابقة . ويعلو الجميع كل شمعدان اثنا عشر مغرزًا صغارًا في صينيّة . وفي الوسط مغرز كبير وفيها كلها من الشمع الكافوري المقصور بكافّة زيتة الدهون والاصباغ والكتابات . والاعمدة الاثنا عشر التي سبق التحرير عنها هي في هذه الانبوبة الكبيرة . ويعلو عمود منها ايقونة عظيمة فيها صور كل القديسين الذين يقع تذكارهم في احد ايّام السنة على عدد الاثني عشر شهرًا وهي منقوشة في دائرة الاثني عشر عمودًا وامام كل ايقونة من الايقونات المذكورة شمعدان وقنديل فضّة فيسرجون هذه المسارج في ابتداء اوّل الشهر واذا فرغ الشهر طفأوها واسرجوا امام الايقونات التي للشهر التالي وهذا عملهم دائمًا الى نهاية الاثني عشر شهرًا . ثمّ يعودون الى الشهر الاوّل . وفي كل عمود من الاعمدة المذكورة اعضاء من ذخائر القديسين الذين يتمّ تذكارهم بذلك الشهر

واماً القناطر المذكورة التي تعلو هذه الاعمدة فانّ فوق كل قنطرة قرّيّة (١ من القزاز البلور البديع الصناعة (٤) واماً في الحائط المحيط بهذه الكنيسة فوق كل قنطرة من الانبوبتين الصغيرتين قرّيّتان . وفوق باب الكنيسة الكبير ثلاث قرّيّات كبيرة وبجذائها فوق الكاتدرا داخل الهيكل قرّيّتان ايضًا . وجميعها من البلّور الصافي المزيّن بانواع الصيوغ

١) القرّيّة هي من الالفاظ الشامية الكرّة المستديرة

واما الجلون الذي يغطي الانبوبة الكبيرة فهو ممتدّ من الهيكل الى باب الكنيسة على اخشاب عظيمة منها خشبتان في الوسط نُقش عليها كتابة يونانيّة احداهما مكتوبة هكذا : « ايفيسيفيطاطون فاسيليون يوستنيانوس الحسن العبادة يوستنيانوس الملك ». وعلى الخشبة الثانية قد كُتب : « فاسيليقا تاودورة الملكة »

فهذه صفة زينة الانبوبة الكبيرة واما الانبوبتان الصغيرتان اللتان من جهة اليمين واليسار فهما مفروشتان فقط بالبلاط الابيض وفي كل منهما شمعدانان من الشماعدين المتوسطة ذات النحاس الاصفر الشبيهة بالتي تقدّم الذكر عنها في الانبوبة الكبيرة . وفي الانبوبة اليمنى بجانب الحائط ايقونة القديس نيقولاوس قد عُلقت امامها ثلاثة قناديل من الفضّة المذهّبة . واما الهيكلان اللذان في شرقيّ هاتين الانبوبتين عن جانبي الهيكل الكبير الذي هو على اسم التجلّي فانّ واحدًا منهما وهو القائم على الجهة اليمنى مبني على اسم جميع القديسين الذي نسكوا في جبل سينا (٤) وفي الجهة اليسرى هيكل على اسم القديس يعقوب الرسول . وفي قفا الهيكل الكبير هيكل آخر مبني في مكان عليّة موسى المقدّسة . وهو شبيه بالشاغورا في دير صيدنايا على التحرير

وها انا ذا شارح لك اوصاف هذا الهيكل وزينته على انفراد . اعلم انّ الهيكل الكبير مبنيّ على اسم التجلّي الالهي كما سبق وهو مفروش بانواع الرخام بصناعة الرقية (كذا) وهو متّسع الرحاب وفيه الكاتدرا البديعة الجمال رُكّب فيها الرخام الازرق والواح الرخام منتصبة بالطول ملاصقة بعضها بغاية التحكيم وحسن الاتقان بحيث انّ ناظره لا يظنّ بانها منفصلة لحسن توقيع النقش الطبيعيّ وذلك على صورة لا يوجد مثلها في كافّة كنائس العالم وبمحلّ آخر

وتعلو هذه الكاتدرا في الوسط خزانة لطيفة من الفضّة صغيرة الحجم بديعة النقوش من صناعة المسكوب . وفيها الذخيرة الالهيّة اي الاسرار المقدّسة وقدّامها قنديل فضّة مغشّى بالذهب يُسرج دائمًا . وفي جانبها صندوقان من الياغا والصدف فيهما ذخائر مقدّسة من اعضاء القديسين باسمائهم على انفراد . وقد اخرجنا نحن البعض منها وحزنا البركة والشفاء بواسطتها منها يد القديس جاورجيوس الشمال ويد القديسة مارينا اليمنى وسواعد اقصاب من السادة الرسل الاطهار

اما المائدة المذكورة العظيمة فهي مزيّنة بالستائر الجميلة الثمينة ويعلوها اربعة

شاعدين من الفضّة المحكمة الصنع من اشغال (٢) المسكوب . واثنان مثلها عند المذبح المقدّس مع مراوح من الفضّة وصلبان ايضاً مغشّاة بالذهب مع بقيّة اواني القدّاس . ويعلو هذا الهيكل حنيّة شاهقة مرتفعة وهي كلها مصوّرة . واماً في اعلى القائمة فصورة التجلّي الالهي ومن تحتها صورة الاثني عشر رسولاً . واماً دائرة القوس التي رُكبت عليها القبّة المذكورة اي الحنيّة فقد صوّرت بدائرتها صورة اربعة وعشرين نبيّاً تحتهم كتابة باحرف سنيخن (١ فقط . وفي اعلى هذه الحنيّة مصوّرة صورة الملك يوستنيانوس منتصباً وهو في الجهة اليمين وصورة الملكة تاودورة منتصبة من جهة اليسار وجميع هذه التصاوير المذكورة هي من الفسيفساء وصنعتها عجيبة . وترى صورة الملك والملكة المذكورين تطلّ على المائدة المقدّسة

٣ ذخائر القديسة كاترينا الشهيرة

وفي جهة اليمين من الهيكل صندوقان للذخائر احدهما من المرمر الابيض طولهُ خمسة اشبار وعرضهُ شبر ونصف وارتفاعهُ ذراع شاميّ وعليهِ ثلاثة اقفال هي بيد ثلاثة وكلاء من مشايخ الرهبنة ضمنهُ جسد القديسة الشريفة الستّ كاترينا . وهذا الصندوق موضوع فمن صندوق اكبر من الخشب مصفّح بالفضّة ومغشّى بالذهب من كل جهة وهو بغاية النقوش الرفيعة والاشغال العجيبة (٣) وفي ظاهر غطائهِ صورة هذه القديسة كاترينا بمقدار طولها وهذه الصورة بديعة الجمال وحولها كتابة باللغة المسكوبيّة انهُ ورد من تلك البلاد سنة ١٧١٣ وحين يأتي الزوّار يحضر الوكلاء الثلاثة المذكورون ويفتحون الصندوق الخارج والصندوق الاصغر المرمر بغاية الاحترام والوقار ويُخرجون يد القديسة كاترينا الشمال الى حدّ مفصلها وهي غير منحلّة ولا فانية بل جافّة ناشفة بلحمها وجلدها واصابعها وكفّها وكذلك رأسها المقدّس الجزيل الاكرام وهو جمجمة فقط بغير جلد . هذا ما يراه فقط الزائرون والساجدون لجسمها المقدّس لا غير . ويقولون بانّ بقيّة جسمها المقدّس في هذا الصندوق المذكور لكنّنا نحن ما رأيناه بل تكلّمنا عمّا رأينا . وهذا الصندوق يعلوه شمعدانان من الفضّة ايضاً صناعة المسكوب وجملة قناديل لا يُحصى عددها من الفضّة المغشّاة بالذهب وشمعدان عظيم من النحاس الاصفر في دائرتهِ اثنا

١) سنيخن لفظة يونانيّة يراد بها الصفّ والسطر من الكتابة وتأتي بمعنى بيت الشعر

عشر مغرزًا صغيرًا والمغرز الكبير في الوسط من الشمع الكافوري المقصور وهو كلهُ ممتلئ

٤ هيكل علّيقة موسى

واما الهيكل الذي على اسم العلّيقـة المقدّسة الواقع خلف الهيكل الكبير فطولهُ اثنا عشر قدماً ونصف وعرضهُ من القبّة الى الشمال ٢١ قدماً ونصف وهو موضع جليل الاعتبار ومحترم بالوقار وارضهُ مفروشة بالطنافس لانهُ لا يدخلهُ احدٌ بحذائهِ ولا بعمّتهِ وحيطانهُ بالقاشاني الدمشقي وهي مستورة بالستائر المنقوشة ومزيّنة بالايقونات الثمينة الجميلة المسكوبيّة وسقفها من الطوان . والمكان الذي كانت فيهِ العلّيقة المقدّسة هو مفروش برخام يعلو عن الارض نحو اربعـة اصابع وطولهُ نحو ذراع ونصف وعرضهُ نحو ذراع واحد (6") وفي اعلاه صفيحة من الفضّة مغشّاة بالذهب صُوّرت فيها صورة العلّيقة المقدّسة ولها باربعة اركانها اربعة اعمدة صغيرة من الرخام الابيض اللطيف تعلوها المائدة برسم التقديس . وقد عُلقت في هذه المائدة ثلاثة قناديل فضّة مغشّاة بالذهب وهي متّقدة على طول الزمان فوق العلّيقة تحت المائدة ويقدّسون على هذه المائدة في كل سبت . وفي الجهة اليسرى هناك كرسيّ للاسقف من الصدف والباغا وعُلقت جملة قناديل من الفضّة منها كبار ومنها صغار . ولهذا الهيكل بابان فالايمن تخرج منهُ الى هيكل الآباء القديسين المقدّم ذكره والذي عن اليسار تخرج منهُ الى الهيكل الذي باسم يعقوب الرسول المذكور ومنهُ تمرّ في جانب الهيكل الكبير واذا اردت الدخول اليهِ فلا مانع . واما من جهة اليمين فاذا خرجت الى هيكل الآباء واردت الدخول الى الهيكل الكبير فلا يمكنك لما يعترض من الواح الرخام السابق ذكرها القائمة على طرفهِ بجانب صندوق القديسة كاترينا كما كتبنا عنهُ . واما الهيكلان المذكوران اللذان بجانب الهيكل الكبير فانهما مفروشان ببلاط الرخام الأبيض والهيكلان الصغيران مفروشان ببلاط المزي (كذا) ساده فقط وسقفهما اوطأ من الجملون الذي كتبنا عنهُ وهما من الطوان . وسقف الكنيسة في الخارج مغطّى بالرصاص وكذلك الجملون والهياكل

ثمّ انّ في كل انبوبة ثلاث كنائس (6") فالاولى التي عن اليمين كنيسة على اسم القديسة حنّة والكنيسة الثانية على اسم سمعان العمودي ثمّ يليها كنيسة قزما ودميانوس . والجملة ثلاث كنائس . وكذلك عن اليسار ثلاث كنائس ايضاً الاولى

على اسم القديس انتيا (كذا) . والثانية على اسم قسطنطين الملك والثالثة على اسم القديسة مارينا . فتكون جملة الكنائس التي ضمن هذه الكنيسة الكبرى عشر كنائس الّا انّ الكنيسة الكبرى لا توازنها بالزينة كنيسة اخرى لا فيها ولا في غيرها فكأنها فردوس الله في ارضه . ومن يدخلها لا يظنُّ بنفسه واقفاً الّا بالفردوس . فها قد شرحت لك احوالها وعظم زينتها وزيادة شرفها . واماً طول الهيكل الكبير من الحجاب الى الكاتدرا فخمسة وعشرون قدماً تساوي اربعة عشر ذراعاً ونصفاً فيكون طول الكنيسة من الباب الى الكاتدرا نحو خمسين ذراعاً اصطنبوليًا . واماً عرض المذكورة والقونة الكبيرة فثمانية عشر قدماً . والانبوبتان اللتان بجانبها فعرضهما احد عشر قدماً كل واحدة . والجملة ٢٢ قدماً . واماً عرض الانبوبة الكبيرة فاربعون قدماً وقيسة الكراسي التي بين الانبوبتين وبين الكبيرة فخمس اقدام فيكون جملة عرض الكنيسة من الحائط الدائر الى الحائط الدائر الذي امامهُ ٤٥ قدماً وذلك يساوي ٢٢ ذراعاً ونصفاً . فهذا تحرير الكنيسة المذكورة ونسألهُ تعالى يعمرها الى الابد

واعلم انَّ في انبوبة الشمال عند ايقونة الملاك ميخائيل توجد ايقونة والدة الاله ويقولون انها فعلت اعجوبة وقتاً ما مع احد القندلفتيَّة وكان عزم ان يخرج من الكنيسة فلطمتهُ على رأسه بيدها بانتهار انهُ يستقيم فاستقام ولم يعد يخرج . ولها يد من الفضَّة (؟) وقدَّامها شمعدان من النحاس الاصفر شبه الشماعدين الكبار المذكورة انفاً .

واعلم كذلك انهُ تحت حجر الرخام الذي عليه صندوقة الستّ القديسة كاترينا كتابة عربيَّة ورومية فيها اسم المعلم نصرالله الشاغوري الذي حضر لتجديد البلاط في عهد الاسقف المسيحي اثناسيوش سنة ١٧١٥ للمسيح

ثمَّ يوجد ايضاً على باب الدير وهو الثاني من ابواب الحديد كالاول في الصور (كذا) مكتوب اعلاه وضمنهُ بلاطة رخام عربيَّة مكتوبة هكذا :

« أنشأ برسم دير طور سينا جبل المناجاة الفقير راجي عفو الاله الملك المهاب الروبي المذهب يوستنيانوس تذكاراً لهُ ولزوجته الملكة تاودورة على ممرّ الزمان حيث يرث (كذا) الله الارض وما عليها وهو خير الوارثين . وكان انتهاؤهُ بعد ثلاثين سنة من ملكهِ وذلك في سنة ٦٠٢١ الى آدم الموافقة الى تاريخ المسيح سنة ٥٢٧ »

وعلى باب هذه الكنيسة اسامي الحسنين . وهذه صورة كنيسة طورسينا والقديسة

كاترينا وجميع الذي شرحناه يشاهده عيانًا الزوّار الذين راحوا وشافوا وتكلّموا امامنا جميع الذي شرحنا لكم فتحوطون به علمًا وقدّموا التسبيح للاب والابن والروح القدس امين (التتمّة للقادم)

اسرار النجاح في عالم التجارة

للشاب الاديب ميشال افندي الياس سماحه

لا نقصد من هذه العجالة كشف القناع عن مخبأة مدفونة او ايضاح الغامض من اسرار مكنونة في عالم الاشغال التجاريّة ممّا لم يفقه القرّاء معانيهُ من قبل لاسيّما انّ اعمال التجارة اشهر من ان تذكر ولشغالها عامّة يتعاطاها السواد الاعظم ويتأمل بها الاكبر والاصغر . غير انهُ لمّا كان بيننا عدد عظيم ممن يزاولون الاشغال التجاريّة وزاهم في واقعة الحال يأخذون الاعمال من حيث المستقرب وربّما اتوها من بابها المستغلق وهم لا ينفكّون عن التنديد بسوء البخت ويعزون عدم النجاح والرواج الى حبوط الحال وكساد الاعمال الى غير ذلك من الاقوال فقد حدا بنا الامر الى خوض هذا الموضوع وذكر بعض ما افادتنا المطالعة والاستقراء وعندنا انّ التجارة تأتي لصاحبها بارباحها المأمولة اذا ما قامت على اربعة دعائم اولها السعي ثم الثبات ثم الامانة واخيرًا الاقتصاد فهذه الخلال الاربعة اذا ما راعاها التاجر وجرى عليها ادّت بهِ الى المرغوب لا محالة

١ السعي والاجتهاد

على المرء ان يسعى لما فيهِ نفعهُ وليس عليهِ ان تتمّ المطالبُ

من المعلوم انّ لا نجاح الّا بالسعي ولا ترقي الّا بالاجتهاد غير انهُ قد يذهب البعض الى انّ نجاح الفرد في الهيئة الاجتماعيّة قد يكون موكولًا في اكثر الاحيان للصدفة اكثر من السعي والاجتهاد فعلى ذلك نقول اننا اذا تصفحنا تواريخ العلماء وامعنّا نظرًا في سير كبار الرجال ومشاهير العالم وطالعنا اقاصيص اصحاب الثروة والمال قلّما حدّثتنا حاتيك المجلدات وتلك المجلات بأمر يستحقّ نسبتهُ الى الصدفة والاتفاق وان ساعد الحظّ بعض الناس دون البعض فانّ الجدّ والجهد قرّبا ذلك الحظّ وهيّئا إحراز منافعهِ . او هل

يُنكر انَّ بالسعي والاجتهاد قد ترقَّت احقر الامم على الارض من احطّ مواطن الهمجيَّة والفقر الى اعلى ذروة في سلَّم المدنيَّة والفخر ام هل يحتاج الحال الى اثبات ام المقام الى برهان بانَّ الممالك الشهيرة لم تعدل الى الانحلال والدمار الَّا بخمول رجالها وانحطاط همم ذويها . وان سرَّحنا على خلاف ذلك راند الطرف في عالم الاعمال وجلنا في ميادين الاشغال لم نكد نجد عملًا قام بغير السعي ام مطلبًا تمَّ نوالهُ بغير الاجتهاد ولنا في الطبيعة بأسرها شواهد محسوسة على ما نقول . قال بيدبا فيلسوف الهند : « وليس ينبغي للعاقل ان يدع ما يجب عليه من السعي والعمل لصلاح معاشه بل ان لا يألو جهدًا في الطلب على قدر معرفته ولا ينظر الى من توتيه المقادير وتساعده على غير التماس منهُ ولا حركةٍ لانَّ اولئك في الناس قليل وانَّما الجمهور منهم من يجهد نفسهُ في الكدّ والسعي فيما يصلح من امره وينال بهِ ما يريد . . . »

وممَّا لم يحدّثنا بهِ التعارف والاختبار في عالم الهيئة الاجتماعيَّة على اختلاف صورها وتباين اطوارها وتخالف احوالها حبوط امرئ قد عُرفت في شخصهِ الصفات الواجبة والاستعداد التام للاشغال وكان دأبهُ فيها السعي الصادق والاجتهاد المتواصل دون ان يبلغ في عالم الترقي رواجًا او ينال من مغانم النجاح حصَّةً . قال الشاعر :

واني اذا باشرتُ امرًا اريدهُ تدانت اقاصيهِ وهان اشدُّهُ

وان قيل قد نشاهد في سوق التجارة افرادًا يزاولون الاعمال بنشاط ليس عليهِ من مزيد وقلَّما نراهم قد بلغوا المطلوب . اجبنا انَّ سبب ذلك لتولُّجهم الاعمال من غير ابوابها فتارةً يقتحمونها بلا توازن ولا قياس وتارة يندفعون الى ما هو فوق طاقتهم وما وراء مقدرتهم . ومنهم من يتطفَّل على الاشغال همسًا ورجمًا بالغيب دون ان يُعملوا الفكرة في ما تقتضيهِ الاحوال وحاجات البلاد واميال القوم . قال ابن الوردي :

لا تقل قد ذهبت اربابهُ كلُّ من سار على الدرب وصلْ

وعليهِ فلا شكَّ انَّ طرق النجاح مفتوحة لكل طالب يسعى بالوصول اليها بصدق ويتَّخذ لذلك الوسائل الفعَّالة ولم يأتف ممَّا يستلزم الامر من الحركة وتضحية راحة الجسم وعدم المبالاة لاقوال ذوي الفضول . قيل انَّ افلاطون الحكيم الشهير لمَّا كان يتجوَّل في صعيد مصر اخذ يرتزق لكسب معاشهِ ببيع الزيت . وقال الدكتور جنسن وكان

قدم لندن وليس معهُ في كيسهِ اكثر من دينار واحد ثمَّ بلغ ثروة عظيمة : « انني لم أرَ رجلًا نشيطًا تعيس الحال كما وانني اعدُّ كل شكوى على الدهر كافتراء وظلم . ومن ثمَّ ليس على من يدَّعي خيبة الآمال ان يطالب بها احدًا سوى نفسهِ في الغالب »

وما قولهُ اجمالًا في اسباب المعاش يصدق في التجارة خصوصًا . فانَّ الجدَّ والنشاط من اقوى العوامل على ادراك اثمارها الجنيَّة . ألا ترى بيننا قومًا يشار اليهم بالبنان كانوا قبل بضع من السنين في دقعاء الفاقة رابضين وهم اليوم يتقلَّبون في بحبوحة الغناء ورغد العيش وان طلبت باي وسيلة نالوا ما نالوا من الجاه والعزّ وجدت انهم لم يألوا جهدهم في طرق ابواب الرزق حتَّى فُتحت لهم كنوز الثروة . وقد عُرف اهل بلادنا في كل آن بترقيهم التجاري ومساعيهم المتداومة وتنقلهم في البلاد للحصول على وسائل الرزق . ألا ترى الفينيقيين قد طافوا الاقطار وخاضوا مامع البحار من قبل المسيح بقرون عديدة فذلَّلوا لهم كل لسباب المعاش كما تشهد لهم الآثار التي ابقوها من بعدهم في كلّ الانحاء حتَّى سواحل افريقية واسبانية وايطالية . وترى اولادهم اليوم في كل بلاد الله يجرون على مثالهم لا يخافون ما يحول دونهم من العوائق من حيث الاثراء والمخاطر وبُعد المسافات

ولنا في الاجانب مثال حيّ ينطق بما للسعي من الفوز فانَّ ما يستعملهُ اهل اوربَّة للظفر بالاغراض لا يكاد يصدقهُ القارئ . فترى تصانيفهم المتواترة واختراعاتهم المتعددة قد سهَّلت لهم طريقًا وسعًا ومهَّدت لهم مجالًا فسيحًا لرواج تجارتهم من ذلك الاعلانات والمناشير والمطبوعات والصور والرسوم والاوراق الجنسة التي يوزعونها بلا مقابل بقصد احراز الشهرة واحاطة علم العامة وجلبها الى الاستبضاع من اسواقهم حتى انهم لا يضنُّون بالنفقات مهما كانت بالغة ولهم جوَّابة خصوصيون تراهم يطوفون البلاد لهذا الصدد .

وقد ضارعهم بذلك الاميركان وخصوصًا شعوب الولايات المتحدة فتفننوا بهذا المعنى واتوا من الاساليب والاختراعات ما يحيِّر الافكار ويدهش العقول . اخبرنا احد القادمين من مدينة نيويورك : قال بينما كنَّا ذات ليلة نتمشى ونتسامر مع بعض الرفقة على احد ارصفة البحر اذ سمعنا في الماء عجيجًا فتراكض القوم من كل جهة وكان قد اختفى نور القمر فاخذوا يتسائلون عن الحادث ولم يمض الَّا القليل حتى لاح على سطح الماء نورٌ ساطع فتمعنا فيه فاذا هو مصباح باشعة كهربائية رأيناه يعتلي امامنا رويدًا بالفضاء وظهر

لنا عند ذلك انهُ معلق ضمن اطارة بيضاء تارنا عليها عبارة مكتوبة بالانكليزية « جس . . صاحب اختراع هذا المصباح بشارع (كذا) ونمرة (كذا) » فاندهش الجمهور الحتشد وصفقوا لذلك استحسانًا ثم لم يطل الوقت حتى عاد النور بخطة النزول الى ان ادرك وجه الماء وانطفأ وكان قد اقترب في اثناء ذلك من الرصيف قاربٌ صعد منهُ غلام واخذ يوزع بسرعة على القوم اوراق عليها رسوم ذلك المصباح مع بيان استعمالهِ وصاحب بيعهِ فتهافت القوم من كل صوب الى مطالعة الاعلان وكان الجميع يتارنهُ بكل ارتياح وسرور وخصوصًا باعجاب من نباهة وذكاء المخترع الذي سعى بهذه الطريقة الى استلفات انظار العموم لاجل تلاوة اعلانهِ واحراز علم العامة لشهرة تجارتهِ

ومن الطف ما يُحكى بهذا المعنى ايضًا : انهُ حكمت احدى محاكم الامبركان على احد الاشقياء الحكم النهائي بالاعدام فعلم بهذا الخبر احد باعي الشكولاته فقصد السجن وطلب الى المحكوم عليهِ ان يتلو خطابًا قبل الاعدام فحواه جودة تركيب الشكولاته التي يصنعها ومحاسن فوائدها وتعهد لهُ بمقابل ذلك ان يدفع مبلغًا من المال الى اولاده وزوجتهِ بعد وفاتهِ . فتمَّ الاتفاق ولمَّا جيءَ بالمجرم الى ساحة الاعدام استأذن الحاكم قبل ان ينفذ الحكم عليهِ وتلا على مسمع من الجمهور المؤلف من الالوف الحتشدة ذاك الخطاب الذي ادهش الحضور فراحوا يتحدثون بهذا الامر معجبين بنباهة ذاك التاجر الذي حصل بفضل هذا المسعى على شهرة عظيمة مهدت لتجارتهِ نجاحًا عظيمًا . وبوساطة وصنوف متنوعة نظير هذه واساليب كثيرة عديدة خلافها يألفها ويستنبطها اهل السعي يحرزون بها النجاح

٣ الثبات

ان كان السعي اوَّل شروط النجاح في التجارة وفقًا للمثل السائر من جدَّ وجد فانَّ الثبات تاليها لانَّ الامور ربَّما اعتاصت على طالبها فتتيسر بالتأني وتنقاد لطالبيها بطول الاناة . قال الحكماء : من تأنى نال ما تمنَّى . ويقول العامَّة على عكس ذلك : من كان كثير النطّ فهو قليل الصيد . وكثير من الشبَّان لا يحبط مساعيهم وتتضعضع قواهم الَّا قلَّة ثباتهم فتراهم باختباط متواصل ما بين تقلُّب وتنقُّل يعدلون اليوم عمَّا قد تعاطوه في الامس ويصرفون همَّهم في الغد الى ما نبذوه في اليوم ولا يخفى ما ينتج عن هذا التردُّد من الاضرار والخسائر انْ ادبيًّا باضطراب العقل وحيرة الفكر وان ماديًّا

بضياع المال وقتل الاوقات الثمينة . ولا شكَّ انَّ من اعتصم بالحزم وواظب على العمل تذلَّلت لهُ الصاعب وانفتحت امامهُ سُبُل النجاح . قال الشاعر :

اذا كنتَ في امر فكن فيهِ مُقدما فانَّ فساد الرأي ان تترددّا

قال بكستون احد رجال الانكليز المعدودين في العصر السابق : « انَّ من واجبات الرجال الثبات ومداومة الاقدام على العمل لانَّ الترقّي في معارج الفلاح لا يتمُّ الَّا بسير بطيء وعمل تدريجيّ وقلَّما يُدرك ذلك الَّا بالمواظبة والسعي الطويل . ومن اراد نوال النجاح بالطرق المستعجلة عرَّض اشغالهُ لأعظم الاضرار واكبر الخسائر » وهذا كقول القطاميّ الشاعر :

قد يدرك المتأني حسن حاجتهِ وقد يكون مع المستعجل الزللُ

واذا تصفَّحنا تواريخ مشاهير الرجال لم نرَهم فازوا بالرغائب واحرزوا لهم شهرة الَّا بثباتهم ومواظبتهم على الاشغال وكذلك اهل الاختراعات العظيمة فانَّ فضل ترقّيهم ونجاحهم كان على قدر ثباتهم وانصبابهم على الاعمال . ولمَّا سأل بعض الشبَّان من محبّي اللهو ومعاقري الخمرة حكيماً من اليونان كيف اصاب ما اصاب من العلم والمعارف اجابهُ الحكيم : اني قد افنيتُ من الزيت للدرس والمطالعة ليلًا على قدر ما شربت انت من الخمر

والثبات في اعمال التجارة ألزم واهمّ لانها تقتضي من اصحابها دربةً طويلة وترويًا وشدَّة نباهة وحسن تدبير للاشغال وسياسة الامور ومعرفةً كبيرةً بالرجال والاحوال وكل ذلك لا يُنال الَّا بالمواظبة واتصال العمل . ومن اقوال احد ائمة التجارة الفائزين بالغايات : « على رجال العمل ان يكونوا سريعي الخاطر في اجراء مقاصدهم شديدي الثبات في اتمامها . وسرعة الخاطر والثبات ضروريان جدًّا وهما وان كانا بالطبع لا بالوضع الَّا ان الاختبار واللاحظة يقوّيانهما ومن قامتا فيهِ يرى من اوَّل وهلة منهج العمل الذي ينويهِ وتحقَّقت منهُ امانيهِ »

على انَّ الثبات والمداومة على العمل لا يمنعان مداراة الأيَّام وقرع باب جديد اذا انسدَّت في وجه التاجر سُبل النجاح لانَّ الضرورة تلجئ احيانًا الى التنقُّل من حال الى حال

اذا لم تستطع امرًا فدعهُ وجاوزهُ الى ما تستطيعُ

٣ الامانة

هذه خصلة ثالثة لا غنى عنها لاصحاب العمل عموماً وللتجار خصوصاً اذا ما شاؤوا الترقي في معارج النجاح لان سعة الاعمال ووفرة رأس المال لا تحرز دائماً امنيَّة القوم والثقة العموميَّة . والأولى ان يقال انَّ افضل رأس مال استقامة التاجر وصدقهُ في المعاملات . اجل انَّ قوماً يستسهلون اتيان النجاح من طرق المكر والخداع الَّا انَّ بناءهم مبنيّ على شفير هارٍ والمثل السائر يقول انَّ ثوب المكر شفَّاف لا تلبث حرمة صاحبهِ ان تنتهك اذا ما لبسهُ . وقال البارون دوين من رجال بريطانية العظام : قد يتيسَّر للبعض النجاح بطرق الغش والاحتيال التي لا يطول سحابها حتَّى ينقشع تماماً . امَّا النجاح الحقيقي فلا يكون بغير الامانة والصدق »

واذا نظرنا الى احوال الذين نالهم الكساد في السابق رأينا انَّ قليلاً منهم صاروا الى هذه الحالة بعد تشبُّثهم بالاخلاص والامانة وان وُجد بعضهم فانَّ ذلك غالباً يتأتى من سوء تدبيرهم وقلَّة درايتهم . امَّا المكاسب بطريق الخيانة والكذب والتدليس فانَّها كثيراً ما ادَّت باصحابها الى الفاقة فضلاً عن انها افقدتهم شرفهم وجلبت العار على اولادهم . قال الدكتور تشلمرس :

« انَّ إركان التجار الى عملائهم وائتمانهم اياهم على مبالغ كبيرة من المال وهم لم يعرفوهم ولا دخلوا بلادهم افضل نوع من الاعتبار بل يقرب من الاعتبار الديني ولكن لا تخلو قاعدة من شذوذ لانَّ من الناس من يقتاده طمعهُ وخيانتهُ الى تلبيس الباطل بالحق وارتكاب الغش والخداع بان يبدل بضاعةً من أخرى ويجعل وجه البضاعة من نوع وباطنها من نوع آخر الى غير ذلك من ضروب الغش التي تزيد بازدياد ما يُدعى بالعمران ولكن الذين يفعلون ذلك لا يؤمل نجاحهم وان نجحوا وكسبوا شيئاً من المال فلا يتمتعون بهِ زمناً طويلاً وعلى كل يكون اسمهم مرذولاً مهاناً . امَّا الأمناء فقد لا يتقدَّمون في اوَّل امرهم كالخداعين ولكن تقدُّمهم يكون ثابتاً وان كان بطيئاً ولا بُدَّ من ان يربحوا كثيراً في الاخر . وان لم يكن ربحهم الَّا الاسم الطيِّب فقيهِ الكفاءة لانَّ الاسم ثروة وجلبة للغنى والشرف قال الشاعر وردسورت الانكليزي :

وانا رجل الدنيا الذي شهدت لهُ التجارب ان الصدق شيمتهُ

بمار للحق لا قسراً ولا طمعاً بثروة او بجاه فيه رغبتهُ
لكنما المال والجاه اختصاصهما بالمازم الندب ان صحت طويتهُ

وللامانة صفة ايجابيَّة ملازمة لها تماماً وهي الصدق بحيث انَّ من صفات رجال الامانة ان لا يقولوا غير الحق ولا ينطقوا بغير الصدق في اي حال دعتهم اليهِ الظروف او مركز احوجهم اليهِ المقام. قال العلَّامة فنلون اسقف كمبراي في كتاب تلماك: انَّ من يجرح الحقيقة فقد جرح الآلهة وجرح عواطفهُ معاً لانهُ انما ينطق بخلاف شعائر ضميره

وما يلحق بباب الامانة حسن القيام بالحسابات وضبط الدفاتر في اوقاتها وتقييد المدخول والمصروف وتدوين الوصيد مع بيان التاريخ وذلك بالاساليب الجارية عند التجار بحيث يسهل مراجعتها واداء الحساب عنها . واهمال هذه الامور ربَّما ادَّى الى اغلاط جسيمة وخرق الحقوق بين المتعاملين

٤ الاقتصاد

اعلم انَّ تمام شروط النجاح في التجارة الاقتصاد . وهو التوسُّط بين الاسراف والتقتير وقد قيل خير الامور اوساطها . ومن آفات بعض التجار انهم اذا ساعدهم الزمان وحصلوا على شيءٍ من المال زادت مطامعهم فظنُّوا انَّ الدهر طوع امرهم فتهوَّروا باعمال فوق طاقتهم املاً بالربح ورجاء بالمكاسب الباهظة او عمدوا الى الاسراف والتفريط وصرفوا ما لم يفِ بهِ مدخولهم واخذوا يجارون كبار المثرين ولو اقتنعوا بما قسمهُ الله لهم لتوفَّرت تجارتهم وتحسَّنت احوالهم واتقنوا بما لم يقم بهِ محصولهم فلذلك تراهم بعد قليل يرجعون القهقرى وتتأخر امورهم حتَّى تقضَّهم الفاقة بانيابها . ومن امثال العامة في ذلك قولهم: « على قدر بساطك مدَّ رجليك »

على انَّ الاقتصاد ليس هو التقتير والتقتير كثيراً ما يحرم صاحبهُ من الانتفاع بما ربحتهُ يداه فلا يستمتع بمال هذا العالم رغبةً في جمع مالٍ اكثر يدعهُ لمن بعده وربَّما تشدَّد على ذويهِ في الانفاق وحرم عُمَّالهُ من رواتبهم حتى يصير عرضة للملامة ويهيج عليهِ بعض القوم فيقاضون ذلك بما يسلبون من مالهِ بطريق السرقة والخيانة

هذا وان الانسانية قد لا تسائل الغني على قلة اقتصاده للمال كما تطالب عنهُ وجوب العامل او التاجر الصغير لانَّ عدم اقتصاد المتموِّل لا يقوده للفقر والاحتياج لا بل ان انفاقهُ من امواله المخزونة في خير نفسهِ وقريبهِ واجب في عرف الانسانيَّة اذ قد يتأتى

منهُ نفعٌ خاصٌ وفائدة للهيئة الاجتماعيَّة بخلاف العامل الصغير فانهُ بقلة اقتصاده قد يمكن ان يكون ضربةً شديدة على كاهلها . ولذلك انَّ المدنيَّة تبالغ في اجلال اهل الاقتصاد وخصوصاً من الامين وتعظم عملهم المشكور لانهُ يدلُّ على عقل راجح مملوء بالحكمة والتدبير . كيف لا وقد انشأت لهذا الغرض صندوقاً خاصاً دعتهُ صندوق الاقتصاد (caisse d'épargne) عمت دوائره في اكثر العواصم والمدن في العالم المتمدن وتشعبت فروعهُ الى البلدان والقرى لتسهيل الاقتصاد على العمال والايتام والارامل والاولاد ولكافة طبقات القوم . وهي تقبل كميَّات طفيفة من ارباب الاقتصاد تنشيطاً لرغائبهم حتى انها تحاسبهم بفوائدها وقد تعلَّمنا من طرق الاختبار والتآلف انَّ المداومة وطول الاستمرار قد ذلَّل الصعاب وجعل السعيد يسيرًا والف من تواتر اجتماع الدقائق اكبر الاجسام . لذلك يجب علينا ان لا نستهزئ بطرق الاقتصاد مهما كانت قليلة . لانَّ منافعها عظيمة خصوصاً وانها سهلة بدون تكلف لانَّ القليل الذي نقتصده على التعادي قد يكون لنا وخصوصاً لارباب العائلات في المستقبل موردًا يستعينون بهِ وقت الضرورة ويرجعون اليهِ وقت الاحتياج . لا بل نرى فوائد سامية جليلة لهذا العمل المشكور كثيرًا ما يعود بالنجاح التام على الاكثرين من الشبَّان الذين قد تطرقوا في عالم التجارة واكتسبوا بحسن سلوكهم واجتهادهم رضى وارتياح الجمهور غالباً ما يكون لهم الاقتصاد كرأس مال تمهيدي يبنون عليهِ بداءة الحركة في اعمالهم ويتأتى لهم عن ذلك النجاح في المستقبل

هذا ولا يحتاج الحال الى اثبات لانَّ عددًا لا يُحصى من ارباب الهيئة الاجتماعيَّة قد نبغوا في سلم الترقي وكان لهم الاقتصاد من اشدّ الاعوان واعظم الوسائط لبلوغ قمة النجاح والله ولي التوفيق

التكفير

رواية روسية عرَّبها بتصرُّف الاب لويس شيخو اليسوعي

قبل ان يتَّقد وطيس الحرب التي خاضت حرماتها دولتان كبيرتان في الشرق الاقصى وهما لا تزالان حتَّى اليوم في مواقف التخاصم كان احد الشبَّان من اسرة روسيَّة

شريفة اسمهُ ايڤان درلوف دخل في مدرسة عسكريَّة من مدارس موسكو ليتخرَّج فيها بكل آداب الحرب حتى اذا اتقنها انتظم في سلك الضبَّاط وجرى على آثار من احرزوا من اسرتهِ حسن السمعة بالاعمال المنيفة والمساعي الشريفة

وكان ايڤان فقد امهُ وهو في المهد امَّا ابوه نيقولا فكان نائياً عن البلاد يحكم في تخوم سيبريَّة ويردّ عن ثغورها غارات القبائل التي كانت لا تزال تتهددها وتناوشها مرَّةً بعد أخرى

فلم يبقَ في البيت سوى اسكندر اخو ايڤان البكر وعمره اذ ذاك لا يتجاوز العشرين فعطف على اخيهِ الصغير وجعل يفرغ في تربيتهِ كفاتة جهده ليكون اهلًا بأجداده . فنشأ الولد كريم الطباع عالي الهمَّة محبًّا للآداب الحربيَّة . فما بلغ اشدَّهُ وانتهى من دروسهِ الاعداديَّة حتى اسرع الى الدخول في المدرسة الحربيَّة

فلمَّا رأى اسكندر اخاهُ الصغير يدرج مدارج آبائهِ شكر المولى على حسن سجاياه وواصل هو الخدمة في المعاكر الروسيَّة حتى صار احد قوَّادها المعدودين في نواحي جبل قفقاز امَّا ابوه نيقولا فلمَّا رأى القيصر ما ابداه في ولايتهِ من حسن التدبير وصدق الخدمة استدعاه الى بلاطهِ في بطرسبرج وجعلهُ من خواصّ دولته واحد اعضاء الشورى فكان اسمهُ مكرَّمًا يلهج بتحامده كل من عرفهُ

وفي تلك الاثناء كان ايڤان يتقدَّم في دروسهِ ويقتصُّ آثار والده واخيهِ ولم يبقَ لهُ لاتمام استعداده سوى سنة واحدة قبل ان يُدرج في سلك الضبَّاط .

الَّا انهُ في ذلك العام تقرَّب من بعض اترابهِ الدارسين معهُ ممن لم ينشأوا على آدابهِ ولم يتخلَّقوا باخلاقهِ فاخذوا يدالسونهُ ويوالسونهُ ويجتذبونهُ الى الملاهي ويضعفون عزائمهُ باللذَّات حتى جار عن طريق الفضل وعدل عن سنن الآداب . وكان اصحابهُ يتملقونهُ ويزيّنون لهُ الباطل ويموّهون عليهِ الحقّ فوقع في حبائلهم وانتسى بامثالهم فجعل يقضي الليالي في ارتشاف كأس الملاذّ ومعاقرة الخمرة والمقامرة ومغازلة ربَّات الخدور فصرف بزمن قليل ما كان ابوهُ قد خصَّصهُ لمعاشهِ . فكاتبهُ ايڤان مرَّةً ومرتين يطلب منهُ المساعدة الماليَّة واختلق لذلك حججًا لا سند لها فتعجب ابوهُ من امرهِ ولامهُ على كثرة نفقاتهِ فلم يعد ايڤان يجسر على قرع هذا الباب . الَّا انَّ اصحابهُ كانوا لم يزالوا يستنزفون مالهُ ويدفعونهُ الى المصاريف البالغة وهو لم يرض ان يقرَّ لهم بقلَّة ذات يدهِ . فأخذ يستدين من

هذا وذاك حتى تثاقلت على عاتقهِ الديون . وكان استعار من احدى النساء اللواتي تردَّد عليهن عقدًا ثمينًا طالبتهُ بهِ بعد حين فانكرهُ عليها واضطرَّت المرأة ان ترفع امرها الى القضاة

وفي احدى الليالي اذ كان ايثان خمر آخر فلس بقي في كيسهِ رجع وهو حيران سكران الى غرفتهِ . ثمَّ قام الى صندوق كان جملهُ احد اصحابهِ في دارٍ مجاورة لمكانهِ وكان الصاحب غائبًا فعالج الباب حتى كسر قفلهُ ثمَّ عمد الى الصندوق وفتحهُ ليختلس منهُ ما فيهِ من الدراهم وبينا هو يشتغل في جمع المال اذ حضر الصديق وادرك غاية ايثان وحاول ان يصدهُ عن ذلك فما كان من ايثان الَّا ان اخذ مسدَّسهُ واطلق الرصاص على صاحبهِ دون ان يصيب مقاتلهُ . لكنَّ صوت الرصاص نبَّه الجيرة وما لبث رجال الشرط ان تعقَّبوا آثار السارق وقبضوا عليه واحتاوهُ الى السجن لينال جزاء اعماله . فعرف المقدَّم على نظارة المسجونين تفاصيل الحادث وامر رعايةً لشرف اسرة الجاني بان يُجعَل في مكان منفرد ريثما تقضي الحكومة في امرهِ

فلمَّا ذهبت السكرة وعادت الفكرة اخذ ايثان يتروَّى في حالتهِ ويقابل بين حاضرهِ وماضيهِ فكانت صورة والدهِ تتردَّد الى مخيلتهِ ويفكر بما سينالهُ من الحزن والكآبة اذا ما بلغهُ خبر حبسهِ . وكذلك جال في خلدهِ ذكر اخيهِ اسكندر الذي طالما سهر على شبابهِ وبذل المجهود في تربيتهِ ليترفَّع عمَّا يشين شرف عيلهِ

فكانت هذه الافكار تملأ قلبهُ مرارةً وجزعًا فيجهد نفسهُ ليخمد لظاها وهي لا تزيد الَّا تضرُّمًا بهمازها السامّ

فقام ليجيل الطرف في محبسهِ ويشغل فكرهُ بالنظر الى اطرافهِ فاذا هو غرفة ليس فيها من الاثاث سوى فراش زري على حديد مع كوز من الماء وكرسي من القشّ ليس الَّا . فعرض حالهُ هذه مع ما كان عليهِ سابقًا من الثروة ورغد العيش وهو نجل اسرةٍ عُرفت بالغنى والجاه فاجهش بالبكاء وصارت دموعهُ تهمل كالماء المدرار وبقي على ذلك ليلتهُ كلَّها فلاح لهُ انَّها اطول من عام

ولم يأتِ النهار بسلوةٍ الَّا انَّ القاضي اتى بهِ ليستنطقهُ قبل ان يجري الحكم في امرهِ بعد ايام . ولما انس من المستنطق رقةً أمل انَّ عقابهُ يكون اخفّ مما ظنَّ فجعل يعلّل نفسهُ بالآمال بانَّ حبسهُ مع شدَّتهِ لا يدوم الَّا بضعة اسابيع فيُطلَق سراحهُ ويعود

الى مألوف عادته من العيشة اللذيذة التي ذاق مطايبها . فكان هكذا يوطن نفسه على بلوته ويؤمل انفتاح باب الفرج قريباً امامهُ

على انهُ لم يبرح من بالهِ تماماً ذكر والدهِ واخيهِ وما سيصيبهما من الحزن الشديد فيوغر صدرهما غيظاً لجلبهِ العار على اسرة اورلوف . لكنهُ كان يُبعد عنهُ هذه الافكار ويطمئن نفسهُ بانهُ يمكنهُ ان يغيّر اسمهُ وينتقل الى بلد لا يعرفهُ فيهِ احد . وهو لعلى ذلك يتردد بين عاملي الرجاء والخوف اذ دخل عليهِ في صباح اليوم الخامس احد الحرس واخبرهُ بأنَّ اخاهُ اسكندر قدم المدينة وهو يريد ان يواجههُ أفيرضى باستقبالهِ

فكان هذا الكلام كصاعقة انقضَّت على ايفان وهو يعرف ما طُبع عليهِ اخوهُ من الصرامة وجفاء الطبع . فامتقع وجههُ واضطرب قلبهُ بيد انهُ تجلَّد لئلاَّ يلحظ الحارس منهُ شيئاً يدلُّ على ضعف النفس ثمَّ قال لهُ :

ومتى يواجهني اخي ؟

— الساعة الثالثة مساء

— اني لراضٍ بمقابلتهِ فليأتِ

فخرج الحارس واقفل الباب وعاد ايفان الى افكارهِ واذا بالهواجس قد تراكمت على خاطرهِ فصار قلبهُ لشبه بحر تتلاطم امواجهُ وكان يرى سلفاً وجه اخيهِ وهو محتدم غيظاً ويسمع كلامهُ الذي ينفذ في قلبهِ ولا تقوة الصوارم القاطعة . فترى كيف يطيق تبكيتهُ

وكانت الدقائق تمرّ عليهِ وهو يحسبها ساعات ويرصد كل حركة في باب حبسهِ لعلَّهُ يسمع صوت زائرٍ يقبل عليهِ . وكان العرق البارد يبلل وجههُ وعيناهُ شاخصتان الى جدران حبسهِ كانهُ أُصيب بشعورهِ . فندم على قبولهِ بمقابلة اخيهِ وهمَّ بان يدعو الحارس ويقول لهُ بانهُ لا يريد ان يزورهُ احد . ثمَّ منعهُ الحياء من استدعائهِ واخذ يشدّد نفسهُ قائلاً :

ثمَّ ماذا يمكن اخي ان يصنع بي اذا افرط في الكلام وعاملني بالجفاء اسكتهُ وطردتهُ من حبسي وان ابى بعد ذلك ان يعرفني كائنٍ لهُ فلا أبالي

ثمَّ جلس على فراشهِ ينتظر ورود الزائر ويسعى بتثبيت جنانهِ امامهُ بيد انَّ صوت ضميرهِ لم يدع لهُ راحة وكان يتمنَّى لو خُسفت بهِ الارض قبل مجيء اخيهِ . وبقي على

ذلك وهو يحسّ بحَرّ الموت حتى سمع اخيرًا ساعة الحبس الخارجية تدق الثالثة بعد الظهر . وفي الوقت عينه طرقت حجارة الدهليز أقدام عرفها ايڤان انها اقدام اخيه اسكندر فكاد يجمد الدم في عروقه اذ فتح الحارس الباب وادخل الزائر قائلًا :

ان ناظر الحبس يسمح لكما ان تبقيا معًا ساعةً

ثم خرج وترك الاخوين وحدهما

*

كان اسكندر طويل القامة عريض الاكتاف ذا لحية شقراء وعينين زرقاوين وكل هيئته تدل على شهامة نفسه وشدّة بأسه وكان دخل على اخيه وهو لابس بزّته الحربيّة وجعل فوقها شملة واسعة تقيه من شدة البرد في ذلك الفصل من السنة وهو فصل الشتاء القارس .

فانتصب امام اخيه ايڤان ينظر اليه بنظرٍ دونه الموت . لمّا السجين فكان مطرقًا واجمًا لا يبدي حراكًا الّا انّ دموعهُ كانت تنطق بما يجري في قلبه من النزاع وعوامل الحياء والخجل حتى انثهر اخيرًا اسكندر اخاهُ قائلًا :

اني لعالمٌ حقّ العلم بكل ما فعلت . انك لصٌّ وقاتل فضلًا عمّا اقترفت من الفواحش التي تندى لها الوجوه خجلًا . فكأنك لم تولد الّا لتدنّس اسم اسرتنا الشريفة فلو كانت أمنا في قيد الحياة لكانت ماتت حزنًا وكأبة امّا ابونا فان خبر اثامك سوف يشين شيبتهُ ويجلبهُ عارًا وخزيًا الى آخر نسمة من حياته

قال اسكندر بصوت خافت : وهل لم يسمع ابونا بعد بما جرى

— كلّا وانّما انا عرفتُ كلّ شيءٍ بكتاب ارسلهُ اليّ بعض اصحابي فطلبت الرخصة للحال من وزير الحربيّة لآتي هنا وتركت قيادة الجند لاحد الضباط الذين تحت امري

قال هذا ثم اردف قولهُ :

لا انّ خبر مآثمك لم ينتشر بعد ولكنهُ عمّا قليل اذا ما قادوك امام المجلس وفُتحت الدعوى الجنائيّة وثبتت عليك الشكايات ظهر امرك ظهور الشمس ولاحت اعمالك القبيحة فلا شكّ انّ القضاة يحكمون عليك بالاشغال الشاقة ان رحموا شبابك وان لم يرحموا قضوا عليك بالاعدام

— الاعمال الشاقة ! الاعدام !

— نعم وما هو اقبح من ذلك سيحل بابيك العار المؤبد ؟ اما انا فحسبي يأساً ان اقوم لقيادة الجند فارى في عيونهم تبكيتاً متمثلاً كأنهم يقولون لي بلسان حالهم : ما احراك ان تقودنا وانت اخ لاحد سافكي الدماء الماهرين اللصوص

— قد جرى ما جرى أفيوجد دواء لما مضى ؟

— نعم انَّ لديَّ دواء لا اعرف غيره

— وما هو ؟

فحينئذ نزع اسكندر شملتهُ من عن كتفهِ الشمال واخرج من جيبهِ قنينة صغيرة فوضعها امام عيني ايثان قائلاً :

اشرب ما تحتويه هذه القنينة فان فيها سماً قاتلاً يأتيك بالموت الوحي . فاذا متَّ ستر الموت قبح حياتك وبقي اسمنا كما كان شريفاً اثيلاً لم يمسَّهُ عار ولم يلحق بهِ شنار

فلما سمع ايثان هذا الكلام طفر من على فراشهِ وهو متنمر غيظاً فقال :

— او اتيتَ لتقتلني وانت اخي ؟ ابعد يا قايين

— اتيتُ لانجيك وأسرتنا من سبَّة باقية على طول الأحقاب

— وكيف اموت وانا في شرخ الشباب ؟

— وكيف تحيا مطوَّق بالعار والذل او تموت ميتة القتلى واللصوص ؟

— كلَّا لا ارضى بان اموت فاخرج من حبسي وليجرِ بي ما قضت بهِ المقادير

فاخذ اسكندر القنينة بشمالهِ ثم اخرج بيمينهِ مسدساً كان في منطقتهِ فاراهُ اخاهُ قائلاً بهدوء وسكينة ان لم ترضَ بذلك فهذا . اني أطلقهُ في صدرك ثم أقتل نفسي فلا يقال ان اسرة اورلوف احتملت الخزاة وغضَّت ابصارها عن المذام

فجعل ايثان يذرف العبرات السخينة الَّا ان اسكندر اخذ يلحُّ عليه ويبين لهُ انهُ بموتهِ يطهر من الخزايا ويترل في قبرهِ ابيَّ النفس منيع الجانب

فقال ايثان : ان قُضي الامر فدع القنينة عندي لاجري على حسب امرك غداً ان شاء الله

— كلا بل لا بدَّ من موتك الآن امامي قبل عودة حارس السجن . أسرع فاني اسمع صوتاً في الدهليز

فاخذ ايثان القنينة ونظر الى مضمونها وهمَّ بان يجرع السمَّ الذي فيها واذا باب

السجن قد فُتح فجأة والناظر الكبير دخل على الاخوين وقال :

ايّاك يا ايثان ان تشرب هـذا السمّ وانت يا اسكندر كن مطمئن البال . اني سمعتُ كلامك وعرفت شهامة نفسك ورغبتك في حفظ أُسرة اورلوف طاهرةً شريفة لم يسربلها ثوب العار . واني لأَظنُّ ان ايثان ادرك الآن ما نالهُ بآثمهِ من الهانة والمذلّة على اني اقدّم لهُ وسيلة ليرحض عنهُ معايبَهُ

قال اسكندر : نعم خلصني ايها الناظر الكريم من وهدة الذلّ التي سقطتُ فيهـا وها انا ذا مستعدٌ ان لا اذخر وسعًا في التكفير عن ذنبي ولو قُضي عليَّ بركوب اعظم المخاطر

قال الناظر : قد انبأتنا اخبـار الحرب الواردة مؤخرًا من منشوريةَ انَّ الجنرال ك. في حاجة ماسة الى ضابط ماهر لا يهـاب المنون ولا يُعطَى الضيمَ ليقلّدهُ منصبًا ذا شأن عظيم وخطر جسيم يموت فيه لا محالة الّا انَّ موتهُ يولي الوطن فخرًا باهرًا . فذكرتك لوزير الحربيّة . أفترضى ان تموت في حومة الوغى ؟ امّا السفر فيكون من غدٍ باكرًا

— بل اسافر في هـذه الليلة . ويا حبّذا يكون دمي مكفرًا عن العـار الذي دنّستُ بهِ أُسرتي الشريفة

قال اسكندر : وانا اشكرك ايها الناظر على انك وجدت هذه الوسيلة لتذبَّ عن شرفنا وتدفع عن اسرة اورلوف ما كاد يصيبها من الهانـة بما اتاهُ ايثان من المنكر . والآن دعني يا اخي ان اقبلك قبلة الوداع واذا ما بلغني خبر موتك الباسل ذرفت الدموع لا حزنًا على فقدك بل فرحًا على انك خوّلت اسرتك شرفًا جديـدًا ورحضت بدمك ما اتيتهُ من السيّئات . فالوداع الوداع !

*

ومـا مرَّ على هذا الحادث شهران حتّى اتى من الجنرال ك. لحاضرة الدولة نبأ برقي هذا معناهُ : هنئوا الامير نيقولا اورلوف بما اصـاب اسرته من الشرف بموت الضابط ايثان ولده ميتة الابطال

ثمَّ جاءت الرسالات تترى تطرئ شهامة الفقيد . وكان الجنرال ك. وكل اليهِ الدفاع عن احدى قلاع لياونغ ليوقف عندها قوّات العدوّ ويردّ غاراته بما امكنهُ

من الرسائل حتّى اذا رأى اليابانيين اوشكوا فتح القلعة نسفها نسفاً ومات مع حاميتها تحت ردمها ومات معهُ قسماً كبيراً من جنود العدوّ واركان حربهِ. فجرى ايفان على مقتضى اوامر قائدهِ وسار الى الموت كما يسير غيرهُ الى الغنيمة والظفر. وقد وُجدت بعد موتهِ هذه البطاقة باسم اخيهِ اسكندر كتبها في يوم تاريخ موتهِ:

اخي العزيز لا تحسدني على ما سينالني من الشرف فاني احقُّ منك بالموت... فأشكر الله على فتحهِ لي هذا الباب فهو باب التكفير وباب العزّ معاً. فاذرف عليَّ كما وعدت دموع الفرح ريثما تجمعنا الابديّة...

مطبوعات شرقية جديدة

I. Aegyptische Chrestomathie zum Gebrauch auf Universitaeten und zum Selbstunterricht von Adolf Erman. (Porta linguarum orientalium, pars XIX). *Berlin, Verlag von Reuther und Reichard*, pp. 255, 20, 50 × 13, 1904.

II. Aegyptisches Glossar, die haeufigeren Worte der aegyptischen Sprache Zusammengestellet von Adolf Erman. (Porta linguarum orientalium, pars XX). *Berlin, Verlag von Reuther und Reichard* pp. 160, 24, 50 × 16, 1904.

١ً منتخبات اللغة المصريّة القديمة ٢ً معجم اللغة المصريّة

هذان الكتابان تابعان لما نشرهُ مؤلفهما الدكتور ارمان سابقاً من اصول اللغة المصريّة القديمة وبهما تمّ المجموع الذي يحتاج اليهِ الطلبة لدرس آثار قدماء المصريين التي كانت تُعدّ قبل مئة عام من الاسرار المدفونة. ومن ثمّ قد خدم المؤلف العلوم خدمة جليلة بنشرهِ لها. ومن خواصّ هذه المصنّفات دقة صاحبها وحسن اسلوبهِ في التعليم ووضوح شروحهِ وتقاسيمهِ. وقد اخذ بعض اهل النقد عليهِ انهُ لم يُحسن نقل اللفظ المصري بلفظ يرافقهُ في اللغات الاوربيّة. وعندنا انّ طريقة المؤلف قريبة سهلة على الدارسين بحيث يدركون لاوّل وهلة معنى الاصطلاحات التي جرى عليها. وجانبهُ يعتبر خصوصاً في كتاب الاصول النحويّة لغة مصر القديمة اما منتخباتهُ فضمّنها مقاطيع انتخبها من آثار كلّ السلالات الفرعونيّة الى القرون المتأخرة وقد الحقها بتعليقات وشروح غاية في الافادة لمعرفة التاريخ ووصف البلدان وخواصّ اللغة. وفي المقدّمة نظرٌ اجمالي في آداب مصر القديمة. اما المعجم فانهُ لا يشمل فقط الالفاظ الواردة في المنتخبات بل

ايضاً المفردات التي كثر ورودها في النصوص المنشورة حتى الآن . وقد قسم المؤلف هذا المعجم الى اربعة اقسام او جداول خصّ الاوّل بالالفاظ المصريّة مكتوبةً بحرفٍ اوربيّ ليسهل فيه التفتيش على من يعرف معنى العلامات المصريّة . والجدول الثاني مخصوص بهذه العلامات على مقتضى هيئاتها الاصليّة . وجعل في الثالث ترجمة الالفاظ في اللغة الالمانيّة مع الدلالة على ما جاء شبيهاً باللغة المصريّة في القبطيّة واليونانيّة والعربيّة والعبرانيّة . امّا الجدول الاخير فضمّنهُ المؤلف الروايات المختلفة للّفظة الواحدة . فيرى القرّاء من هذا الوصف القليل كثرة مضامين تلك المصنّفات ومنافعها ولنا في اسم صاحبها ضمين على رواجها بين العلماء وطلبة الآثار المصريّة الاب ا. مالون

ALBUM DE LA CONFRÉRIE SAINT MARON

برنامج اخوية القديس مارون

تأليف الهمام يوسف افندي خطّار غانم

طبع في بيروت بالمطبعة الكاثوليكية (الجزء الثاني ١٩٠٣ ص ٣٧٦)

لا نعلم ما نظريّ في هذا البرنامج البديع الذي يستحق ان يُنظم بين فرائد المطبوعات الشرقيّة . لأتقان طبعهِ او حسن صورهِ او وفرة مولدّهِ او رقّة انشائه وانسجام نظمه . فلا نخشى لومة لائم اذا قلنا انهُ طرفة من طرف الآداب العصريّة يبقى كتذكار مخلّد للأمة المارونيّة ورُعاتها الاجلّاء ومشاهير رجالها ديناً ودنيا . وليس هذا الكتاب سوى جزء واحد من مجموع كبير اذا قام بهِ صاحبهُ المقدام صار افضل منهل يستقي من مواردهِ اهل البحث ومحبّو الآثار الكنسيّة . اجل انّ غاية جامعهِ لم تكُ ان يكتب تاريخاً الّا انهُ ضمّن سفرهُ من شتات التفاصيل التاريخيّة التي جمعها بعد شقّ النفس ما يوجب لهُ شكر طائفته وتهانيّ كلّ المستشرقين . واوّل من انتفع من مساعيهِ المشكورة مجلّتنا المشرق التي اخذت تنشر سلسلة اساقفة الابرشيات المارونيّة بقلم الشيخ سليم افندي خطّار الدحداح وقد اقرّ الكاتب الفاضل جهاراً بانهُ استفاد من هذا البرنامج في كثير ممّا رواهُ . وفي الختام نحثّ كلّ ادباء الموارنة ان لا يحرموا بيوتهم من هذه التحفة التي تزينها فضلاً عن كونها ترسم لاولادهم امثلة فضلٍ وفضيلة يأتسون بها فيكون الخلف اهلاً بالسلف ومن اشبه اباهُ ما ظلم ل . ش

الاقتضاب في شرح ادب الكتاب

لابن السيد البطليوسي . وقف على طبعهِ وتصحيحهِ المعلّم عبد الله افندي البستاني
طبع في بيروت في المطبعة الادبية سنة ١٩٠١ (ص ٤٧٧)

لا يجهل احد من الادباء ما نالهُ من الشهرة كتاب ادب الكاتب لعبد الله بن مسلم المعروف بابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ هـ (٨٨٩ م) . ولم يكتفِ القدماء بدرس هذا الكتاب وتعديد نسخهِ بل سعى ايضاً كثيرون منهم بشرح فصولهِ كاسحاق بن ابرهيم الفارابيّ المتوفّى سنة ٣٥٠ هـ (٩٦١ م) وابي منصور الجواليقي المتوفى سنة ٥٣٩ هـ (١١٤٥ م) وابي علي الحسن بن محمد البطليوسيّ († ٥٧٦ — ١١٨١) واحمد بن داود الجذاميّ († ٥٩٨ — ١٢٠٢) وقد اشتهر بين هذه الشروح شرح آخر لاحد ائمة اللغة وهو ابو محمد عبد الله بن محمّد المعروف بالسيّد البطليوسيّ المتوفى سنة ٥٢١ هـ (١١٢٨ م) وليس سنة ٤٢١ كما ورد في كشف الظنون . وقد وصفهُ الحاج خليفة بقولهِ (١ : ٢٢٢) : « انهُ شرح مفيد جدًّا . وذكر فيهِ انّ غرضهُ تفسير الخطبة وذِكر اصناف الكتبة ومراتبهم وجلّ ما يحتاجون اليهِ في صناعتهم ثمّ الكلام في نُكتهِ والتنبيه على غلطهِ وشرح ابياتهِ وقد قسمهُ على ثلاثة اجزاء الاول شرح خطبة ادب الكاتب والثاني في التنبيه على غلطهِ والثالث في شرح ابياتهِ وسمّاهُ الاقتضاب في شرح ادب الكتّاب » . وهو الكتاب الذي طبع آخرًا بنفقة الافندَيين نخله قلفاط وسليم ميداني صاحبي المكتبة الكلّيّة . وقد وكلا الى اللغوي البارع المعلم عبد الله افندي البستاني الوقوف على طبعهِ ففعل واعتنى بمراجعة اصلهِ وصحح ما وجد فيه من التحريف والتصحيف والاغلاط النسخيّة . فلشكر كل من تولّى نشر هذا السفر الجليل الذي وجدناهُ متقن الطبع حسن الضبط جم الفوائد . ولولا انّا كنّا نتمنى زيادةً للفائدة ان يبيّن حضرة المصحح خواصّ النسخة التي اخذ عنها كتابتها وما اصلح منها . ومن عجيب امرها انّ فاتحتها ليست كفاتحة النسخة التي وصفها الحاج خليفة . وفي اوربّة من هذا الكتاب نسخ ثلاث الواحدة في خزانة كتب لندن واثنتان في مكتبة الاسكوريال في اسبانية فلو قوبل بين هذه النسخ لجاءت الطبعة وافيةً بالمرام لا ينقصها شيءٌ من اسباب الكمال وليس الكمال لغيرهِ تعالى سبحانهُ عزّ وجلّ

كتاب الارب من غيث الادب

طُبع بنفقة المرحوم عبده بي بابادوبولس (في المطبعة الثانية في بمبدا ١٨٩٧ ص ١١١)

يتضمن هذا الكتاب شرح قصيدة الطغرائي الشهيرة بلامية العجم للشيخ الامام القاضي صلاح الدين الصفدي. وهو شرح واضح ورد على اسلوب قريب المنال يذكر الشارح البيت ثمَّ يفسر ما ورد فيه من الالفاظ العويصة ثم يبيّن المعنى. ويضيف اليه ما يستحسنهُ من الملاحظات اللغويَّة والتاريخية فلا يجد الدارس ما يستغلق عليه. وفي آخر هذه القصيدة لاميَّة الشنفرى المروفة بلاميَّة العرب مع شرح دون السابق طولًا فنحضّ ارباب المدارس على مطالعة الكتاب وجعله في ايدي طلبتهم

شذرات

احتجاج اخذت علينا بعض الجرائد المحليَّة مدَّة غيابنا ما كتبناهُ في المشرق (٧: ٥٨٦) في اثناء وصفنا لمخطوطات كليَّة كمبردج وهذا نصُّهُ بالحرف الواحد:

وممَّا يفيد تاريخ بلادنا كتاب اسفار الاسرار (ص ٧٥٠) لعليا بن يوحنَّا الموصليّ كُتب سنة ١٣٣٢ م وذكر فيهِ بدع الشرق وطوائفها كالسريان والنساطرة. وخصَّ الموارنة بالذكر في الصفحة ١١٣ ومن تبعهم قال: «واكثر من تبعهُ (اراد مارون غير الناسك وجعلهُ في ايَّام موريقي) اهل كفرطاب واهل مدينة حماة وبصري (بشرّي) والعواصم وكثير من الروم. . فلما مات (اي مارون) بنوا لهُ اهل مدينة حماة دير وسمّوهُ على اسمهِ دير مارون وقوي امرهم بالملك هرقل»

فزعمت الجرائد المذكورة انَّ هذا الكلام يمسّ شواعر الأمة المارونيَّة. فتعجَّبنا من هذه الشكاية وأجلنا النظر في ما كتبناهُ فلم نجد شيئًا البتَّة ممَّا نُسب الينا لاسيَّما ان مجلَّتنا عُرفت منذ بروزها الى اليوم بخدمتها الصادقة للطوائف الكاثوليكيَّة عمومًا وللأمَّة المارونيَّة خصوصًا كما تشهد عليهِ مقالاتنا المتعدّدة الناشرة لمفاخر الطائفة الموما اليها. ويكفينا لردّ هذه المزاعم بان نحيل القارئ الى اسطرنا السابقة ليتحقَّق بنفسهِ انَّ ليس ثمَّة داعٍ لمثل هذه الشكاية الباطلة. فايُّ طعن يا تُرى اذا قلنا انَّ مؤرخًا قديمًا ذكر الطائفة المارونيَّة في الصفحة كذا او انَّهُ ذكر مارون غير الناسك وجعلهُ في ايَّام موريقي او اذا اثبتنا لهُ شهادة مفيدة لتاريخ وجغرافية الطائفة المارونيَّة في القرن السابع ! !

ل. ش.

افادة ذكرنا في عدد سابق (٨٢٦) كتاباً في شرح الليتورجيا اليونانية بالايطالية طبع في بالرمو ووصفناه بأوّل كتاب من جنسه ظهر في ايطالية . وقد افادنا حضرة المحامي العاضل قسطنطين الباشا ب . م انّ الاب انسالم المحامي يوسف شاهين الراهب الحلبي الكاثوليك في ليفورنو سبقه الى مثل هذا الكتاب ونقل الليتورجيا اليونانيّة الى الايطاليّة وصدّر كتابهُ بمقدّمة في قدمها وبقائها وجعل كتابهُ تقدمةً لاوثر تورينو قبل بضع سنوات

أسئلة واجوبة

س سأل جناب ملحم افندي ايّوب الحكيم من ماريدا بوكاتان كيف ينطبق ما ورد في الانجيل الطاهر عن السيد المسيح انهُ كان يخرج الشياطين والارواح النجسة من بعض المكونين مع ما يأتيهُ الطبّ الحديث وتروبه الجلّات العلميّة وهي تنفي وجود الشياطين في البشر

الارواح النجسة والانجيل الطاهر

ج قد خُدع كاتب هذه الاسطر اذ صدّق مزاعم بعض الاباحيين بدلاً من الانجيل الطاهر . والصواب انّ الطبّ الحديث والجلّات العلميّة الصادقة لا تتعرّض لهذه المسائل او هي تُفوز بين خزعبلات المخرقين والامور المقرّرة الراهنة ما لم ينو اصحابها بذلك معاكسة الكتب المنزلة . وما لا شبهة فيه انّ العقل فضلاً عن النقل يثبت وجود الشياطين وعملها باذنه تعالى عزّ وجلّ في البشر . وقد بيّنا ذلك غير مرّة في ردودنا على من انكر الامر (راجع مثلاً السنة الاولى من المشرق الصفحة ٢٣٨) . والرسلون المبشرون بين الامم الوثنيّة حتّى يومنا هذا يروون في رسائلهم عدّة امور غريبة لا يمكن نسبتها الّا للارواح النجسة وقد رأينا رجالاً يوثق بكلامهم رووا لنا اموراً جرت في بلاد شتّى عاينوها بانفسهم او سمعوها من شهود عيان لا يمكن ان تُعزى لغير الشياطين خزاهم الله . وطرد الابالسة احدى القوّات التي منحها المسيح تلاميذه لمّا ارسلهم الى العالم ليدعوا الامم المتسكعة في ظلمة الوثنيّة الى التبصُّر

س وسُئلنا عمّا اصل لفظة « النمسا » للبلاد المعروفة . ٢ وما اصل قول العامة : يخرب زوقك النمسا — قول العامة يخرب زوقك

ج النمسا لفظة مستعارة من التركيّة نمسه او نمچه تدلُّ على بلاد اوستريا خصوصاً وعلى المانية عموماً . امّا اصل اللفظة فمن اللغة الصقليّة « Niemska » ثمّ شاعت عند الروم بلفظة Νεμτζοί — اما قول العامة « يخرب زوقك » ففيه اشارة الى زوق الخراب اي يجعل الله امرك خراباً كهذه القرية

ل . ش

صورة القديس غريغوريوس الكبير

(نقلًا عن الصورة التي صُنعت في رومة اثناء حياته)